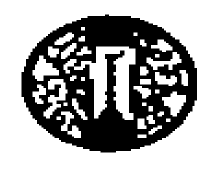
ثقافة الهند

Vol 51 No 4 2000

المجلد ٥١ العدد ٤

٢٠٠٠م



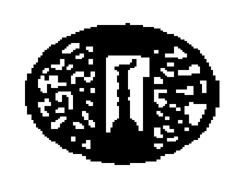
المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٥١ العدد ٤

٣م



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بهون، نيو دلهي

الهند

ان المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية نشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر عدة مجلات، منها بالعربية "ثقافة الهند" و في الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية Rencontre Avec L'Inde و في الأسبانية Papeles de la India و في الألمانية "Indien in der Gegenwart" في الهندية "Gaganaanchal" و كلها يصدر أربع مرات في السنة

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى

The Programme Director (Pub)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan, Indraprastha Estate
New Delhi - 110002 (INDIA)

و حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن و الآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين و الكتّاب و لاتعكس سياسة المجلس بالضرورة

ثمن الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس كالآتي

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١ روبية	٢٥ روبية
١ دولارات	٤ دولارا	١ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤ جنيها

نشرها وطبعها السيد هماتشل سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية
آزاد بوان، نيو دلهي، الهند
طبعت في مطبعة سابرارت امارميشس برائيويت لميتيد
بي ٢٠، كانو تشلمبار، سابول ناغر، نيو دلهي ٤٩

رئيس التحرير: البروفسور زبير أحمد الفاروقي

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٥١ العدد ٤

٢م

محتويات العدد

كلمة التحرير:

في العدد السابق للمجلة نشرنا مقالا بقلم الأديب المعروف باللغة السنسكرتية - ساتكاري موخوبادهيا - تحت عنوان " سفر راماينا لجنوب شرقي آسيا"، و في هذا العدد ننشر الجزء الثاني و الأخير للمقال و قد تحدث فيه الكاتب عن رحلة ملحمة أو أسطورة رامايانا إلى الأقطار الأخرى للعالم و منها غرب آسيا و أوروبا و الأقاليم المختلفة داخل الهند و ترجمتها إلى لغات تلك الأقطار و منها اللغة الفارسية على سبيل المثال، التي يبلغ عدد تراجمها فيها زهاء ٢٨ ترجمة كما نوه الكاتب باهتمام المستشرقين الغربيين بهذه الملحمة و الانحرافات التي توجد في كتب المبشرين المسيحيين عن النص الأصلي و الأمانة و الدقة التي تتميز بها الترجمة الفرنسية للملحمة إلى جانب تقديم معلومات عن نصوصها المختلفة

مقال مهم آخر يحتويه هذا العدد هو حول موضوع أدب الرحلة في اللغة الأردية كتبه د/ خلال السعيد الحمداوي و تحدث فيه بشكل عام عن الكتب الأردية التي تصف رحلات أصحابها إلى شبه الجزيرة العربية مع قراءة تفصيلية في رحلة سلطان جهان بيجم أميرة بهوبال و أعد ببلوجرافيا للرحلات التي قام بها رحالة من شبه القارة الهندية إلى شبه الجزيرة العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين

كما يتضمن العدد مقالين حول عالمين هنديين كبيرين للغة العربية و آدابها أحدهما الشيخ محمد طيب الذي ولد في مكة المكرمة و جاء إلى الهند و هو في الخامس و العشرين من العمر و استقر في مدينة رامبور حيث قضى حياته مشتغلا بالدرس و التدريس و خلف عددا لا بأس به من التلامذة و أشهرهم الشيخ عبد العزيز الميمن و عبد الله بن يوسف السورتي، و ثانيهما الشيخ

عبد الحميد النعماني الذي يعرف نشاطه العلمي و الأدبي و كتاباته باللغتين الأردية و العربية نثرا و نظما

و حرصا منا على التوسع في الشمولية من حيث الموضوع قد اخترنا لهذا العدد مقالين أخريين كتب أحدهما ويل ديورانت (Will Durant) الكاتب الأمريكي الشهير تحت عنوان "الهندسة المعمارية الهندوكية" و يشف هذا المقال عما يكنه صاحبه من اعجاب و تقدير لآثار الهندسة المعمارية الهندية على اختلاف عصورها و يقدم وصفا رائعا دقيقا لميزاتها التي جعلتها تضاهي اية بناية أثرية في العالم فخامة و روعة. اما المقال الثاني فكتبته ريخا سوريا حول الموسيقى الهندية الكلاسيكية القديمة مع التركيز على مزاياها و مقارنتها بالموسيقى العربية

و القصة القصيرة "في انتظار البوذا" تعلمنا درسا للحياة مستمدا من تعاليم البوذا

في اول مبادرة من نوعها في الهند قام المعهد المركزي للغة الانكليزية و اللغات الاجنبية في مدينة حيدر آباد بجنوب الهند بتنظيم ندوة دولية حول "الادب المهجري" الذي لا يعرف عنه الدارسون و المدرسون للغة العربية في الجامعات الهندية الآ قليلا و يتضمن هذا العدد تقريرا شاملا عن اعمال الندوة نظرا لاهميتها

و اننا اذ نقدم ملف العدد الجديد نرجو من القراء تزويدنا بآرائهم عن قيمة ما يصل إليهم عبر اعداد هذه المجلة و ايضا بمقترحاتهم الثمينة بما يعيننا في اثراء محتوياتها

د/ زبير أحمد الفاروقي

رحلة راماينا: عبر آسيا و أوروبا
و شبه القارة الهندية

بقلم ستكاري موجوماديا

[هذه هي الحلقة الثانية و الأخيرة من مقال الكاتب حول رحلة راماينا عبر مختلف أنحاء العالم. وقد تتبع الكاتب في الحلقة الأولى من مقاله و التي تم نشرها في العدد الثالث و المجلد ٥١ و السنة ... م من هذه المجلة]

ذكرنا، في الحلقة الأولى من هذا المقال أن "راماينا" (أي ملحمة أو أسطورة راما) من وضع فالميكي، التي تعد أقدم الأعمال الأدبية الموجودة كتبها حول أسطورة راما، قد بدأت رحلتها من ضفاف نهر "تماسا" في وادي هملايا، في زمن من القرن الثامن أو القرن السابع قبل الميلاد. و قد واصلت أسطورة راما التي يحتوي عليها مصنف "راماينا" رحلتها وفقا للرغبة التي أبداها الشاعر فالميكي قائلا: ستظل أسطورة راما تحكى بين الناس، ما دامت الجبال و الأنهار باقية على وجه البسيطة. فترحلت إلى مختلف أقطار العالم و أسفرت عملية الترحال هذه عن تحول راماينا إلى صور إبداعية كثيرة، فقد تكيفت أسطورة راما، حيثما نحتت من تيبت إلى ميانمار، و من هناك إلى ماليزيا و إندونيسيا عن طريق تايلاند، و لاوس و كمبوديا بالثقافات و المعتقدات الدينية و الأوضاع الاجتماعية المحلية لهذه البلدان

و حدث نفس الشيء في مسار الأسطورة و رحلاتها الى الغرب و كذلك داخل شبه القارة الهندية. فقد ترجمت الأسطورة "راماينا" و أعيد نسخها بلغات غرب آسيا و أوروبا و الهند. فعندما نتجه نحو الغرب فإن أول ما يجذب انتباهنا هو الأدب المتصل براماينا باللغة الفارسية. و لم تكن الفارسية لغة شعب ايران و سكان اجزاء من افغانستان منذ القرون الوسطى فحسب، و لكنها ظلت ايضا اللغة الإدارية و الثقافية للهند لعدة قرون من الزمن. و اللغة الفارسية التي تنتسب إلى الفصيلة الهندية الإيرانية، و تنحدر من الإيرانية القديمة عبر الفارسية الوسطى اي البهلوية، غنية بكافة المقومات اللازمة للتعبير عن الأفكار، و التصورات الهندية. و قد أنتج الكتاب المسلمون و الهندوس باللغة الفارسية، أدبا ثريا بشكل ترجمات "راماينا" و اعادة كتابة هذه الأسطورة، مع تكييفها بتفصيلات و وقائع معدلة

لغات غرب آسيا

إن أهم و أشمل قصة لراما كتبت باللغة الفارسية هي التي وضعها ملا عبد القادر بدايوني المؤرخ الشهير من البلاط الملكي المغولي أثناء حكم الإمبراطور اكبر. و نعلم من كتابه في التاريخ "منتخب التواريخ" (الترجمة الانجليزية لـ جي. ايه. س. رانكنج، المجلد الثاني، ص ٣٤٦ - ٣٤٨) أن الإمبراطور اكبر كلف الباحث الكبير المذكور بترجمة "راماينا" لفالميكي، من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفارسية. و قبل الباحث ملا عبد القادر بدايوني المهمة، فقام بترجمة "راماينا" لفالميكي، بيتا بيتا، الى اللغة الفارسية. و يذكر لنا ايضا أن لجنة من المتخصصين في اللغتين السنسكريتية و الفارسية قد شكلت لاستعراض الترجمة و التأكد من دقتها. و قد صادقت اللجنة على الترجمة بعد أن راجعتها بعناية من التدقيق. و بالرغم من أن الإمبراطور قد قبل الترجمة، إلاّ

انه نشأ هناك خلاف بينه و بين المترجم، حول قضية دينية. كان ملا عبد القادر البدايوني مسلما محافظا، فرفض أن يبدأ ترجمته وفقا للطريقة المتبعة لدى الهندوس المتمثلة في التصريح بـ "نمسكارا" للآلهة. كان الامبراطور يرغب في الابقاء على "نمسكارا" في الترجمة. و لكن البدايوني رفض الاستجابة لهذه الرغبة، مما بعث الامبراطور على الاستياء منه، فلم يمنح المكافأة كاملة للمترجم. و مهما كانت صحة هذه الحكاية فلا نشك أن الترجمة من روائع الأدب الهندي الفارسي. و لم تنشر هذه الترجمة حتى الآن لعدم توفر مخطوطاتها بسهولة. و قد أمكن لنا اكتشاف مخطوطة في مكتبة عامة بمدينة لاهور. و كان قسم ثقافة ايران قد حصل على فليم للمخطوطة (يحمل صورا فوتوغرافية مصغرة عن صفحاتها) و يعود الى البروفيسور أ. و. أزهر الدهلوي من جامعة جواهر لال نهرو بنشر النص على أساس هذه المخطوطة الفوتوغرافية. و أخيرا أفادنا صديقنا الفاضل سيد احمد، من المتحف الوطني بنيودلهي بأن المتحف يمتلك نسخة من ترجمة البدايوني مزدانة بالرسوم الجميلة.

ان ترجمة البدايوني لرامايانا أثر أدبي عظيم، بدون شك. و لكنها ليست كل أدب رامايانا الموجود باللغة الفارسية. فهناك حوالي ثمان و عشرين ترجمة لرامايانا بهذه اللغة. و يجب أن يذكر بعد البدايوني، ملا شاه الله مسيح البانيبتي و غير دهارداس كاياستا. و كلاهما كان في عهد الامبراطور جهانجير. و قد عاش ملا مسيح اثني عشر عاما في مدينة فاراناسي متعلما اللغة السنسكريتية و مستشيرا كهنة الهندوس. نشأت ترجمة رامايانا الى الفارسية و ترجمته منظومة. و هو ينقل قصة راما رمزا للتعبد و الصوفية، و يبدأ بوصف جمال "سيتا" و عفتها، و يثني كثيرا على المرأة الهندية لتضحيتها و اخلاصها

و وقـائـع و قـد اهـتـمـت مـطبعة ناوال كيشور في لكناو بطباعة هذه الترجمة الـصـحـيـحـة لراماين بالللغة الفارسية، في عام ١٨٩٩م غير ان "راماينا" الفارسي من تـرجـمـة غـيـرنهاركاياستا الـبـهـلـوي لم يطبع حتى الان و توجد احدى مـخـطـوطـات هـذه الـتـرجـمـة في المتحف البريطاني بلندن و لم يمكن تحليل محتويتها لعدم وجودها بشكل مطبوع غير انه يقال ان هذا الأثر الادبي يشتمل عـلـى ٥٨ (خـمـسـة لاف و ثـمـانـمائة) بيت و يحكي غيرنهار داس ان سيتا لم تحل لدى نهاية حياتها تحويلا من تجاويف الارض و انما صارت الى السماء

و من الـمـعـلـوم ـ هـنـاك نـص فـارسـيـا لخر مصنوعا لراماينا من وضع سـانـدرهـا ـ بـيـدنـر و لـيـت مـاكـتـس من عهد هذا الكاتب المترجم و هذا النص لراماينـا ايضا طبع بمطبعة ناول كيشوري بلكناو في ١٨٧٥م و نص اخاب لال لالـمـوري لـرامـايـنـا الـذي اكـتـمـل في ١٧٧ ابيات لخر صحيح يحتوي على ٤ ١١ تـعـيـن الـف) بـيـت اما عمر هـذا ـ لال طفر المسمى بـ "رام اسواميده" الذي يـحـتـوي ٧٢٢ (سـبـعـة الـف و مـائتين و عشرين) بيتا فقد تم تحريره على اغلب الاحـتـمـالات، عـلـى اسـاس "رامـاسـماميده" من وضع جاميس و هناك نصوص فـارسـيـه اخـرى لـرامـايـنـا و بعضها ترجمات مفصلة او مختصرة مثل ترجمات مـنـشـي جـامـل كـيـشـوري و رامـداس كـانـيـس، و راي مـاهـاديو بالي، و منشي ـ اميـسـواري سـهـاي، و منشي هارلال وغيرهم

ان عـمـلا رائـعـا في تاريخ ما كتب بالفارسية حول قصة راما هو "راماينا امـار ـ راكـاش" من كتابة امار سنح و يمكن ان يعتبر هذا العمل الذي تم تاليفه في عهد الامبراطور اورنجزيب موسوعة لادب راماينا و هو قمين بذلك، حيث انه يـمـثـل دراسـة مـقـارنة للتعبيرات و الاختلافات الموجودة في مختلف الاساطير حـول قـصـة راما بمختلف النصوص و قد اورد امر سنح ايضا ثبت المراجع التي استفاد منها

ان "راماين كتاب مقدس هندي" (او كتاب الهندوس المقدس) للاستاذ آ و آزهر هو اكثر البحوث و الاعمال شمولا و صحة حول نصوص راماينا الفارسية و كان هذا البحث قد قدم اصلا الى جامعة طهران كرسالة دكتوراة و لكنها اكثر بكثير من رسالة تحصر لنيل الدكتوراه و ان هذا العمل ادى بعد طبعه و نشره، في مجلتين ضخمتين من قبل "انتشارات بنياد فرهنگ ايران" هو موسوعة اخرى لنصوص راماينا الفارسية و يمتاز هذا العمل بنص باللغة الفارسية الجديدة الواضحة المترجمة التي استخدمت فيه و قد عرض الكاتب المحترم في هذا البحث نصا مختصرا لاسطورة راما و اسند الادب لكثير من نصوص راماينا الفارسية المتيسرة مع استشهادات من النصوص الاصلية و نحن نعترف بامتناننا لهذا البحث في كثير من معلوماتنا بهذا الصدد و قد نشر معهد طهران نفسه نصا مختصرا لهذا البحث بعد اقبال ياغماى و قد كتب البروفيسور آزهر مقالات كثيرة ذات بحوث علمية حول نصوص راماينا الفارسية باللغات الفارسية و الاردية و الانجليزية و الهندية

ليس هناك كثير من الكتابات حول "رامايانا" باللغة العربية و كان المجلس الهندي للروابط الثقافية قد نشر الترجمة العربية المختصرة لوديع البستاني في عام ١٩٥٣م غير ان هذه الترجمة ليست ذات قيمة ادبية كبيرة و قد علمت ان هناك عملا اخر حول راماين باللغة العربية بعنوان "الرامي و الياسمين" من وضع حليمة ابو علاء و قد اتم طبعه اتحاد الكتاب العرب بدمشق في عام ١٩٨٢م و لكننا لم نستطع ان نعرف عن محتويات هذا التأليف و لم يمكن الحصول على نسخة من هذا الإصدار الادبي

و هناك مؤلفات كثيرة اخرى حول موضوع "رامايانا" باللغة الفارسية الا انه لا يمكن ان يذكر كلها هنا و يمكن للقراء الراغبين الرجوع إلى مقال امثال

نابهوق بعنوان "ادب راماينا بالعربية و الفارسية و الاردية" في "بيان مفصل بقدي لدراسات رامايف في العالم"، المجلد الثاني - نيو دلهي، ساهيتيا اكاديمي ١٩٩٣م)

اللعاب الاوروبية

قبل ان تبدا الدراسات في الشوون الهندية في أوروبا، في الربع الأخير من القرن الثامن عشر كانت اسطورة رام معروفة لدى أوروبا، عن طريق مؤلفات المبشرين المسيحيين الذين سافروا الى الهند، منذ بداية القرن السادس عشر ولم يترجم هولاء المبشرون كتب راماينا الهندية ولم يحاولوا دراسة هذه الملحمة العظيمة بمراناها الدينية وانما سجلوا مايجري احداثا من راماينا ضمن للمعابد المحلية خلال وضعهم لتاريخ مختلف مناطق هذه البلاد و ثقافتها و ديانتها و كان هدفهم من ذلك هو نشر المسيحية و من الواضح أن الاختلافات في تقاليد راماينا المحلية قد انعكست في مؤلفاتهم و سنذكر هنا مايجري بعض هذه الموضوعات و نشير الى بعض ما وقع فيها من اختلافات و تغييرات في قصة راما

١ - وضع المبشر اليسوعي جي سي فينيسيو كتابا باللغة البورتوغيزية تحت عنوان "ليفرو داستا" (Livro da Seita) في عام ١٦٠٩م و يسرد فيه الكاتب اشياء وصفها بعبره اشكال واقعية يتجسد فيها فيشنو قصة راماينا بتفصيل كبير و يمكن ان يذكر هنا امران مختلفان حاد فيهما الكاتب عن نص راماينا لفالميكي احدهما ان سيتا ولدت و معها قوس من النار القربانية للملك جاناكا، و الثاني ان راما ذهب الى الغابة بارادته تكفيرا عن اثم اقترفه بقتل السيطانة "تاداكا"

٢ ـ سجلت قصة أحداث من راماينا في كتاب ... موسوعة ... البورتوغيزية تحت عنوان "هستوريا دو ماليبارا" (Historia de Malabara) ... في عام ١٦١٥م

٣ ـ و توجد قصة موجزة لراما في كتاب باللغة الفرنسية و عنوانه "راليسيو دس ابريمبر" (Ralisio des Brexer) و ... هذه القصة ... راما و سيتا ... الى الغابة ... و ان الأخ الأكبر لراما قد قتل على ايدي راما ... في معركة و ... الأخ الأصغر قد ورث عرش ليودهيا

٤ ـ و قد وضع بالدايوس (Baldaeus) في عام ١٦٥٢م كتابا باللغة الهولندية سماه بـ (Afgoderey der Oost-Indische Heydenen) ... هذا الكاتب قصة راما حتى ارتقائه الى ... سردا موجزا

و هناك مصنفات مشتتة أخرى من هذا الطراز في اللغات الاوروبية ... منها على لمحة عن كثير من تقاليد راماينا المحلية في الهند

و قد ... ملحمة راماينا ... اهتمام المستشرقين الغربيين منذ بداية تعرّف اوروبا على اللغة السنسكريتية و ان أول عمل جاد حول راماينا بلغة أوروبية قام به اوروبي كان على الأرجح هو الترجمة الانجليزية للكتابين الأول و الثاني من راماينا لـ بالميكي مع تعليقات ايضاحية من اعداد المبشرين المعمدانيين من سيرامبور و ... كيري، و جوشوا مارشمان و كانت ارسالية سيرامبور التبشيرية قد التزمت بنشر هذه الترجمة، مع النص الأصلي السنسكريتي، في ثلاثة مجلدات خلال عامي ١٨٠٦م و ١٨١٠م و بما أن هذه الترجمة كانت أول عمل حول راماينا فلم تخل من بعض الزلات و عدم الدقة في بعض المواضع

تتمتع اللغة الإيطالية بمكانة اللغة الثقافية المشتركة بين الاكاديميين الاوروبيين حتى القرن التاسع عشر، لذلك، فلا عجب، في أن ترجمة "لاتينية" للكتابين الأول و الثاني من راماينا أنجزها المستشرق الألماني المعروف أغسطس غيليموس فون سكليجيل (Augustus Guilelmus von Schlegel) قد صدرت عن بون خلال الفترة من ١٨٢٩ ـ ١٨٣٨م و قد استخدمت في هذه الترجمة النثرية لغة واضحة من طراز القرون الوسطى كما أن هذه الطبعة تحتوي على المتن السنسكريتي.

و هذه الترجمة اللاتينية لسكليجيل قد أعقبتها آثار أدبية هامة للعالم الإيطالي غاسبير غوريسيو الذي وقف حياته كلها لدراسة راماينا و قد حرر المتن السنسكريتي لأثر رامايانا المنقح من قبل غاوديان (Gaudian) بمنتهى الدقة، و نشره بمطبعة بيوعارية بين عامي ١٨٤٥م و ١٨٦٧م (Ramayana Poema indiano di Valmici testo sanscrito secondo i codici manoscritti dell scuola Gaurdiana) و قام "وقف التراث الهندي" بمدراس بإعادة طبع هذا الإصدار في عام ١٩٨١م و أنتج غوريسيو عملا هاما آخر بشكل ترجمة إيطالية كاملة لراماينا لاتزال نموذجا للترجمة حتى اليوم لما يمتاز به من الدقة و الصحة و السهولة في القراءة و قد نشرت هذه الترجمة في ستة مجلدات بين عامي ١٨٤٧م و ١٨٧٠م

ارتحلت ملحمة "راماينا" إلى جميع أنحاء أوروبا، بصفة رئيسية، عن طريق ترجمات "راماينا" لفالميكي و كانت بعض هذه الترجمات كلية و بعضها جزئية و كذلك عن طريق مختصرات الملحمة و إعادة حكاية قصتها و مازال اهتمام القراء الاوروبيين و عامة أفراد الشعب بقراءة هذه الملحمة العظيمة مستمرا حتى اليوم و لا نستطيع أن ننكر كافة مثل هذه الآثار الأدبية و لو عن

طريق الإشارة الى عناوينها فلا يتسع هذا المقال القصير لذلك و من هنا فلسد نكتفي باستعراض ما هو الأكثر أهمية من هذه الأعمال. أول تأليف حول راماين باللغة الفرنسية يمكن وصفه بحق و عن جدارة، بأنه يحمد أهميته هو الترجمة النثرية الكاملة باللغة الفرنسية بقلم هيبولايت فوشي و تتسم هذه الترجمة بأمانة من حيث مصداقيتها للنص الموجود حينذاك، و هو، على الأرجح عبارة عن التنقيح البنغالي لراماينا من تأليف فالميكي و يحمل اللغة المستعملة في هذه الترجمة كافة سمات الفرنسية الأدبية من القرن التاسع عشر. و قد تم نشر هذه الترجمة في نفس الفترة التي نشرت فيها ترجمة غوريسيو من باريس في تسعة مجلدات و ذلك تحت عنوان Ramayana poeme sanscrit de Valmiki mis en francaise A. Frank 1854-1858 و كانت هناك بضع ترجمات جزئية باللغة الفرنسية و يمكن أن يذكر من بينها ترجمة سر شويل (E. Schoebel) و عنوانها Le Ramayana au point de vue religieux philosophique et moral in Annales du Musee Guimet t. 13 1888 و كذلك ترجمة ف. بارسوت (V. Parisot) تحت عنوان Le Ramayana de Valmiki المطبوعة في باريس عام ١٨٥٣ و هذه الترجمة الأخيرة تعتمد على نسيج غاسب راماينا. أما الترجمة الفرنسية المنظورة فقد أعدها الفريد روسي تحت عنوان Le Ramayana de Valmiki traduit en francaise و تم نشرها في ثلاثة مجلدات بباريس خلال الفترة من ١٩٠٣ - ١٩٠٧م و لم يمتنع رجال العلم و الأدب الفرنسيون براماينا من ابداع فالميكي وحده فقد وجهوا اهتمامهم الى مآثرة تلسي داس العظيمة. أما كاريتا ماناسا و كنتيجة لذلك حصلنا على بضع ترجمات كاملة و جزئية لـ "ماناسا" مثل ترجمة غرسين دي تاسي (و هي في

معظمها عبارة عن دراسة سوندارا كاندا، ١٨٤٧) و ترجمة كارلوت فاوديميلي الى اللغة الفرنسية و توجد لدينا ترجمة فرنسية كاملة لـ "راماكيرتي" الكمبودي بقلم سافيروس بوي، طبعت في باريس عام ١٩٧٩م

و يمكن القول حدسا و تقديرا، ان الألماني المتخصص في الشؤون الهندية الذي سبق الى تناول رامايانا بالدراسة النقدية الجادة هو البريشت ويبير (Albrecht Weber) المعروف بدراساته للفيدا و قد عرض نقده لرامايانا في بحثه "اوبير ديس رامايانا" اطبع في برلين عام ١٨٧) و تم نشر الترجمة الانجليزية لهذا البحث للمترجم د. سي. بويد (D. C. Boyd) ضمن دراسة الآثار العتيقة الهندية (المجلد١ ـ ص ١٢ ـ١٢٧، ١٧٢ ـ ١٨٢، ٢٣٩ ـ ٢٥٣) و مما يؤسف له انه لا يمكن قبول معظم الاراء التي اعرب عنها هذا الخبير في الثقافة و الفنون الهندية فهو يقدم نظرية تقول ان "رامايانا" الحالي مزيج لمختلف تقاليد الاغاني الشعبية الهندية، و ليس كل ما يوجد فيه من ميزة و براعة إلاّ نتيجة النفوذ الإغريقي و صرح ايضا بان قصة راما الموجودة في "دالي داسراثا ـ جاتاكا" (فاسول رقم ٤٦١) هي المصدر لرامايانا الذي وضعه فالميكي و قد اصل هذا الرأي الخاطئ عددا من الباحثين الهنود من امثال دينيش شاندرا سين، و راهول سانسكرتيايان، و اناند كاوسالياياں، و سونيتي كومار شاترجي و سوكومارسين. غيران الالماني الآخر المتخصص البارز في الشؤون الهندية هيرمان جاكوبي قد فند كثيرا من آراء فيبير في كتابه Das Ramayana (المطبوع في بون) Geschichte und Inhalt و يحتل تاليف جاكوبي هذا اهمية لأسباب اخرى، و خاصة لبحثه حول التحريفات و المدسوسات في رامايانا و قد بحث هذا الكاتب ايضا المشكلة المعقدة لـ "داسراثا ـ جاتاكا (راجع مقدمته السنسكريتية لرامايانا ـ دلهي، ١٩٨٣، و بحثه تحت عنوان "اسطورة راما في الادب البوذي ـ تريبيداد، ١٩٩٨)

و مع ذلك فإن الباحثين الألمان قاموا بمساهمات قيمة في دراسة أدب راماينا بجدافيره و إن أروع عمل يستحق أن يذكر بهذا الصدد هو تأليف Das Ramayana und die Rama Literatur der Inder ل ماهمارتيسر (FREIBURG 1894) و يحتوي هذا التأليف الى جانب كونه تقويما شاملا لأدب راماينا بكليته، بما في ذلك مسرحيات و أشعار كتبت مبنية على موضوع راماينا على خلاصة راماينا من وضع فالميكي و يبحث أيضا في نفوذ راماينا و أثره على حياة الهنود المعاصرين و هناك ترجمة أخرى تستحق أن تخص بالذكر من بين التراجم الألمانية، و هي ترجمة ج. ميراد بعنوان Ramayana das lied vom Konig Rama Munchem Theodor Ackermann 1897 و من المؤسف أن هذه الترجمة ناقصة و لا تغطي إلا الكتاب الأول من راماينا

اكتسبت قصة راما (راماينا) الشعبية تدريجيا في أوروبا فلم يهتم بها الباحثون المعنيون بالدراسات الهندية فحسب و لكن اهتم بها أيضا أفراد من عامة المثقفين بما ينطوي عليه هذه الأسطورة من خصائص أدبية و قيم إنسانية و لهذا نجد أن ترجمات قصة راما و مختصراتها و روايتها بأشكال أخرى قد ظهرت في جميع البلدان الأوروبية تقريبا بما فيها تلك البلدان التي تشكل أجزاء من الاتحاد السوفيتي السابق و مثل هذه الترجمات و التأليفات متواجدة في لغات كثيرة نحو البلغارية و التشكوسلوفاكية و الهنغارية و النرويجية و البولندية و الإسبانية و السويدية و اليوكرانية و الأوزبيكية و قال صديق روسي لكاتب هذا المقال، ذات مرة، قبل سقوط النظام الشيوعي في روسيا بمدة طويلة، أن "راماينا" اكتسب الشعبية الكبيرة بين جماهير الروس لأنه يعلّم الولاء و الإخلاص و الصدق و العطف و الشفقة و الحرمة للأسرة

فيما يتعلق بأدب راماينا باللغة الانجليزية، سبق لنا أن ذكرنا الترجمة

الانجليزية الأولى بقلم وليام كاري و جوشوا مارشمان و قد نشأ اهتمام كبير بين شعبي بريطانيا و الولايات المتحدة بأدب راماينا خلال القرنين الماضيين و كنتيجة لذلك فقد ظهر عدد لا يحصى من الترجمات و المختصرات لراماينا و حكاياته المعلقة باللغة الانجليزية و هناك ترجمات انجليزية ممتازة انتجها الكتاب الهنود

و كان رالف ت هـ غريفيت الذي عاش في مدينة فاراناسي سنوات كثيرة، و ترجم الفيدا (كتب الهندوس الدينية الاربعة) الى الانجليزية هو الرائد في هذا الميدان و مازالت ترجمته (المؤكد صحتها) لراماينا من تاليف بالميكي تقرأ على نطاق واسع حتى اليوم و صدرت الطبعة الاولى من ترجمته في خمسة مجلدات (لندن تروبنر، ١٨٧ - ١٨٧٤) و أعيدت طباعة هذه الترجمة عدة مرات في الهند و لا تزال مطبوعة معروضة للبيع و هذه الترجمة رغم كونها شعريه متوافقة مع الأصل

و من بين التراجم الانجليزية الأخرى هناك نصان مختصران لراماينا اختصرهما جـ موردوك و جـ د ماكفي، و اهتمت جمعية الأدب المسيحية للهند بمدراس بنشر كل من هاتين الترجمتين المختصرتين في عام ١٨٩٨ و عام ١٩٢٣م بالترتيب و يمكن ان نذكر من بين المترجمين الهنود إلى الانجليزية، كلا من مانماثا ناث دت (كلكتا، ١٨٨٩ - ١٨٩١) و سودا ماجومدار (بومباي، ١٩٥٣ - ١٩٥٨م) و ماخان لال سين (كلكتا، ١٩٢٧) و ن راغوناثان (مدراس، ١٩٨١ - ١٩٨٢) و ان اصح ترجمة انجليزيه عصرية لراماينا من وضع فالميكي للمترجمين روبيرت ب غولدمان و شيلدون اي بولوك يجرى اصدارهما من قبل مطبعة جامعة برنستون و قد بدأت طباعة السلسلة في عام ١٩٨٤م، و ظهرت خمسة مجلدات (حتى سوندرا كاندا) لحد الآن و هذه الترجمة مبنية، بصفة رئيسية،

على الطبعة النقدية التي نشرها معهد بروده الشرقي و لكنها تتناول ايضا اختلافات هامة في القراءات بالملاحظة و تحافظ هذه الترجمة على الامانة في المطابقة للمتن على الوجه الامثل و مع ذلك فانها سهلة الفهم لوضوحها المتقن

اللغـــات الهنديـــة

لنعد الان الى الوطن و نلقي نظرة على المشهد داخل شبه القارة الهندية اذا قلنا ان رامايانا طوال عشر القرون مصدر الإلهام لرجال الثقافة و المعرفة بكافة الآداب المحلية للهند فانه هو ليس من المبالغة بمكان و من الانصاف ان نقول ان الروح الثقافي و الادبي و الفني و الديني لعموم الهند - من كشمير الى كانيا كوماري و من كامبوا الى منى بور - تتجاوب مع اصداء روح رامايانا لقد جذبت هذه المأثرة الادبية وسحرت اكثر من الكتاب و القراء لما اضفى عليها من القداسة و الخصوصية الدينية التي لم تعرف في اي مكان اخر في تاريخ الادب العالمي و هكذا فانا نجد عددا كبيرا من الكتاب يستوحون اثارا ادبية صغيرة او كبيرة منها ماينشد و منها ما يخرج على المسرح و منها ما يغنى او يروى

مع ظهور الدراسات الجديدة التي تبلغ من عمرها قرنين من الزمن شهدنا ارتفاعا في الكتابات حول رامايانا و هي احيانا تثني على الرسالة و تمثل الحماسة التعبدية، و تنتقد انتقادا علميا احيانا اخرى و لكنها في معظمها ذات طبيعة شارحة و مفسرة و قد اسفر الجدال المشتعل على رامايانا، في السنسكريتية، عن عدد من "الاشكال الروائية" المحتملة للفكرة الرئيسية كما وجدت في فالميكي و حيث كان التركيز على اظهار راما باعتباره تجسيدا لو مثلا مثاليا لـ "فيدانتا" و "يوغا" و فوق ذلك كله للميثولوجيا "الروائية" و هكذا فان رامايانا ليس مجرد اسطورة و انما هو تراث وطني يتخطى المعتقد

التقليدي الاسطوري و السلوك الخلقي المثالي مما نشا و تطور مع الشعب

نحن نتاكد جيدا الآن ان راماينا هو اقدم و أشمل سجل لأسطورة راما و بالنسبة لمهد راماينا يمكن القول بثمة كاملة، بأن متن هذا الاثر كما توارثناه، ما عدا بعض التحريفات و الزيادات في وقت لاحق، مضى في القدم، حيث يرجع الى القرن السابع قبل الميلاد اما نظرية الريشت وبيبر القائلة بأن بالى داستاراثا - جاتاكا كان المصدر لتأليف فالميكى و التى قبلها عدد من الباحثين الهنود البارزين فقد نحصها كاتب هذا المقال فعلا في مقالاته السالف ذكرها

راماينا لفالميكى

ان راماينا لفالميكى هو الينبوع و المصدر لأدب راماينا بأسره في العالم لذلك فلن نكون في غير محله لن يبحث راماينا بشيء من التفصيل شكلا و منشأ و لقارئ يرغب في الاستطلاع ان يسأل ما هو الطراز او الاسلوب الذي يمكن ان يعزى اليه راماينا لفالميكى؟ و يترجم مصطلح الملحمة عادة بتعبير "مهاكاويا" الشعر العظيم، في اللغات الهندية غير ان بعض الباحثين الهنود التقليديين يعترضون على تسمية راماينا بـ "مهاكاويا"، لانهم يعتقدون ان تعريف "مها كاويا" كما حدده ناقدون معنيون بالشعر مثل داندين لا يتوافق مع "راماينا" مثل توافقه مع "راغوفامسا" لكاليداس و مع "كومارا سامبهافا" او "كيراتارجونيا" لـ "بهارافى" و ليس من الضروري ان يعتبر مصطلح "مهاكاويا" مجرد تعبير مرادف للملحمة فقد ظل مصطلح "مهاكاويا" كثير الاستعمال في البحوث النقدية للشعر في السنسكريتية منذ قديم الزمان و ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار انه على الرغم من ان راماينا كثيرا ما أطلق عليه "حكاية" او "اسطورة" و "تاريخ" (اتهاس) للعادات و المعتقدات الهندية،

الا ان كونه شعرا لم يكن قط موضع خلاف و هدفا للمنافسة و ينطلق فالميكي على مؤلفه شعرا عدة مرات و من المسلم به ايضا فى اعتبار ان "راماينا" عظيم (ماهات) من حيث ضخامته و محتوياته بين المؤلفات الشعرية (كاويسو) للهند لذلك فإنه شعر عظيم (مها كاويا) بمعنى المصطلح و التعريف و الواقع انه كان بمثابة نموذج لسائر المؤلفات الشعرية العظيمة فى الفترات اللاحقة و من هنا فإنه يسوغ القول بأن عندما هو الشعر الاول و فالميكي هو الشاعر الاول

و "راماينا" مارس بالاضافة الى كونه شعرا و يقول "مها بهارتا" ان "اتهاسا" (التاريخ) و كتب "البوران" قد اثبتت صحة تعليمات كتب الفيدا (المقدسة للهندوس) و كان هذا هو الهدف من ذلك راماينا لفالميكي لذلك فمن المبرر تماما ان يسمى الباحثون الهنود و لاسيما المعنيون بالشعر، راماينا بـ "اتهاسا" و يلعب "راماينا" ايضا دور "دهرما شاسترا" (مجموعة قوانين اجتماعية و دينية) و هو دور اشار اليه فالميكي نفسه و يقول لد راسموانات طاغور ان الشعر قسمان شعر يعرضه الشعراء افرادا و شعر يتمخض عنه المجتمع و فى القسم الثاني من الشعر يعبر شعب بكامله عن مشاعره و تجاربه، على مدى احقاب طويلة من الزمن و يقدمها للإنسانية جمعاء كثروة مكتنزة خالدة و قد كشفت الهند سرها عن نفسها فى الملحمتين "راماينا" و "مهابهارتا"

المتن و تنقيحاتـــــه

و ينقسم متن "راماينا"، كما توارثناه الى سبعة كتب تسمى "كاندا" و ينقسم كل "كاندا" الى عدة "سارغا" (مقطوعات من قصيدة طويلة) و تسمى

"الـكـانـدار" بـاسـمـاء مـخـتـلـفـة نـحـو "بـال كـانـدا" و "ايـودهـيـا كـانـدا" و "آرانـيـا كـانـدا" و "كـيـشـكـيـنـدهـا كاندا" و "سوندرا كاندا" و "يودها كاندا" و "اوتـراكـانـدا" و هـي تـنـقـيح عاديان لراماينا يسمى "بال كاندا" بـ "آدي كاندا" كما يسمى "يودها كاندا" بـ "لانكا كاندا" و يبلغ مجموع مثل هذه المقطوعات (كـانـدار) فـي "رامـايـنـا" ستمائة و ثمانية و ثلاثين مقطوعة طبقا للاثر المنقح الـجنوبي، بينما يبلغ مجموع عدد المقطوعات من الشعر حوالي أربعة و عشرين الـف مـقـطـوعـه و مـعـظم هذه المقطوعات منظومة في بحر بسيط من اثنين و ثلاثين مقطعا، و ان كانت قد استخدمت بضعة بحور اخرى أطول احيانا

لـقـد وصـلـنـا مـتن رامـايـنا من طريق العرف و الإرث بعدة تنقيحات و هي تـنـقـيـحـات جـنوبية و عامية و غربية و شمالية غربية و يرى بعض رجال العلم و الـبـحـث انـه لـيـس هـنـاك الا تـنـقـيحان لراماينا بما لكلمة التنقيح من معنى التـهـذيـب و التعديل و الاصلاح، و هما التنقيح الشمالي و التنقيح الجنوبي اما الـتـنقيحات الغربية و العاميه و الشمالية الغربية فكلها ليست الا اشكالا مختلفة لـلـتـنـقـيـح الـشـمـالـي و التنقيح الجنوبي الذي حوفظ عليه في المخطوطات الـمـكـتـوبـة بـالـحروف الهجائية لكل من لغات تيلغو و غرانثا و كانادا و ملايالام مـوجـود بـشـكـل واحـد تـقـريـبـا بينما تحتوى التنقيحات الاخرى على تشعبات و تباينات فيما بينها

يـؤكـد الـبـاحـثـون الـمـعـاصـرون، بالإجماع تقريبا على ان المتن الحالي لـرامايـنا يزخر بعدد لا يحصى من العبارات المدسوسة المقحمة و لاغرو اذا كان الـشعراء او الرواقون المثقفون في الازمنة اللاحقة قد اضافوا اشياء بسيطة من عـنـدهـم الـى هذا المتن الذي لاقى من الشعبية ما لاقى في بلاد واسعة مترامية الاطراف، و حوفظ عليه طوال هذه القرون ـ و يقدر قدمه بالفي عام على الاقل -

و ذلك إما بهدف التطوير و التزيين أو للتعبير عن آرائهم الفلسفية و الدينية في مثل هذا الأثر الأدبي ذي الطبيعة الخالدة و من المستحيل تقريبا التخلص مما أقحم من أبيات مشكوك في أصالتها و إعادة صياغة متن الراماينا من جديد و حتى أن المشروع الكبير لقسم راماينا من المعهد الشرقي لجامعة بارودا، الذي أصدر طبعة نقدية للراماينا في سبعة مجلدات ضخمة، مبنية على مقابلة مخطوطات عديدة لا يختص بعضها ببعض، لا يمكن أن يعزى له أيضا بعض اكتشاف متن فالميكي و في هذه الحالة يستحسن أن نقبل المتن التقليدي و إن لم يكن ذلك بوصفه من إبداع حكيم عاقل يسمى فالميكي، و لكن بوصفه نتاج الثقافة الهندية كلها، و يتمتع به

و يؤكد العديد من الباحثين العصريين الهنود و الغربيين، على حد سواء، أيضا على أن الكتب من الثاني إلى السادس تشكل الجزء الأصلي للراماينا، أما الكتابان الأول و السابع فلعلهما يكونان أضيفا في وقت لاحق و لا يتسع هذا المجال للنظر في الدعوى القائلة بأن "بالا كاندا" أضيفت و على أية حال فليس من حق أي شخص أن يؤكد على رأيه و يبدأ "أيودهيا كاندا" الذي يعتبر الكتاب الأول من راماينا الحقيقي، كما هو النص المقبول لدى الجمهور بما يلي

Gacchata matulakulam bharatena tada naghah/
satrughno nityasatrughno nitah pritipuraskrtah//

و يبدأ الكتاب نفسه من الطبعة النقدية الصادرة عن جامعة بارودا بما يلي

kasyacid atha kalasya raja dasarathah sutam/
bharatam kekayi putram abravid raghunandanah //

و في أي حالة لا يمكن أن يكون "أيودهيا كاندا" بداية الملحمة فلا يمكن أن يبدأ شعر ملحمي كراماينا دون التعريف بالشخصيات الرئيسية لهذه

الملحمة، مثل داساراثا و راما و بهاراثا، و ساتروغنا، و كاوساليا، و كيكى و نقل ماكدونيل جهدا لسد هذا النقص، في نظريته، قائلا بأن بعض الأبيات التي تقدم القصة قد حذفت من بداية "أيودهيا كاندا"، و وضعها اللاحقون من منقحي العمل في المقطوعة الخامسة من "بالا كاندا" و لكن هذا الدليل ليس قويا، لأن سرد تاريخ سلالة "اكسماكو" الحاكمة من "ساغارا" حتى "داساراثا"، و وصف بلد "كوسالا" و عاصمته "أيودهيا"، يشكلان تقديما طبيعيا لقصة الملحمة وفقا للتقليد الهندي

أما بالنسبة لأوترا كاندا، فيمكن القول بأنه حتى و إن كان هذا مما تم إضافته بعد فالميكي، فإنه قديم جدا، و ذلك لأنه كان معروفا لدى كاليداس من القرن الأول قبل الميلاد و يقول الدكتور بوسالكار في ملاحظته

"لا يمكن رفض كتاب "أوتراكاندا" كله بوصفه مزورا مدسوسا، و بالرغم من أن فالميكي وضعه بعد أن اكتملت الأناشيد (المقطوعات) الأخرى، إلا أن أجزاء منه تتعلق بقصة راما مثل وصف ساتروغنا و لاكسمان و نبذ سيتا و ميلاد كوسا و لافا، و ارتحال راما و بضعة أحداث صغيرة، هي حقيقية أصيلة"

و يجب أن لا يغرب عن البال أن كلا من بالا كاندا و أوترا كاندا أقدم من هاريفامسا الذي يعرف بأنه ملحق بـ "مهابهاراتا" و من هنا يعتقد بحكم الماثور بأنه جزء من الملحمة العظيمة و أن أحدا يمكنه أن يجد في حكاية "راما" كما تثبت في هاريفامسا، أمورا مثل تعليم "فيشواميترا" لـ "راما" استخدام الأسلحة المقدسة و قيام راما بكسر قوس "سيفا" و مثل هذه الأمور و الأحداث جزء من بالا كاندا في راماينا لفالميكى و ينتهي القصص المتصل براما في هاريفامسا بعودة راما إلى الجنة و ليس بتتويج راما و قد وصف تحول

وأما الجنة في المقطوعة رقم ١ من أوترا كاندا ليست فإنه من الواضح أن مؤلف هاريباهسا كان مطلعا على "بالا كاندا" و "أوترا كاندا" كليهما وليس هاريباهسا موسوف حديث فقد عرفه أسفاغوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي) علاوة على أن حيرى من مهابهاراتا على الشاعر الحكيم البوذي قد أورد بيتين نقلا عن هاريباهسا باعتبارهما منقولين عن "مهابهارات"

حاشية راماينا

لا تصبح راماينا نموذجا يقتدي به في الشعر لعدد من الأزمنة فحسب ولكنه أيضا يمشي ثقافة نموذجية أنه يعلم بيانه عمومية أساسه، وفي الوقت نفسه، يعلم أيضا واجبات محتشمة ملزم بها الناس حسب انتمائهم إلى مختلف طبقات المجتمع أنه يصور أشخاصا معنويين في عائلة من النبل فيمثل الأسرة بأنها علاقة اجتماعية ذات حرمة عالية وأن المثل الأعلى للملكية الذي صوره فالميكي قد أوجد فكرة "رام راجيا" الذي يعني أسمى نظام سياسي أحبه المهاتما غاندي حبا جما ويقول سوامي فيفيكاناندا الواقع أن راماينا ومهابهاراتا موسوعتان للحياة والحكمة الأريتيني المتمسين تمثلان حضارة مثالية ما زالت الإنسانية تتوق إليها بعد

وقد بحثنا بشيء من التفصيل عن راماينا لفالميكي لأنه الأصل والمنشأ لكافة أدب راماينا فهذا هو المنبع الذي سالت منه الأنهار والجداول على مدى سبعة عشرين قرنا من الزمن ويمكن أن ينقسم الأدب المكتوب والشفوي إلى ستة أقسام تالية

١ـ نصوص مختلفة لراماينا في السنسكريتية نحو "أدبهوتا راماينا" و "أدهياتما راماينا" و "آنندا راماينا" و "يوغوسيدي رامائن" وغيرها من النصوص

٢ ـ قصة راماينا بشكل مختصر في "مهابهارتا" و في عدة كتب "البوران" بالسنسكريتيه مثل "أغني بورانا" و "بهاغواتا" و "براهما نندا بورانا" و "براهمن" و "فيمارتا بورانا" و "بادما بورانا" وغيرها

٣ ـ ترجمات راماينا لفالميكي و كتب راماينا للآخرين من السنسكريتية الى اللغات الاقليمية

٤ ـ نصوص اقليمية لراماينا و هي عبارة عن كتابات أصلية في اللغات الإقليمية

٥ ـ الاعمال الادبية مثل الشعر و المسرحية و النثر في السنسكريتية و اللغات الاقليمية

٦ ـ حكايات شعبية لراماكثها في الافواه المأثورة بمختلف المناطق و الاقاليم

ان التصحيحات و الترجمات و النصوص المحلية لراماينا بمختلف الاقاليم و تلك حكايات اسطورة راماينا في المأثور من القصص كثيرة لا تحصى و حتى انه يستحيل مجرد سردها و عدها، في هذا المقال القصير المتسع و يمكن للقراء الراغبين في الحصول على فكرة عن هذه الآثار الادبية الرجوع الى حول كتب مختارة عن هذا الموضوع أعده هذا الكاتب بالاشتراك مع البروفيسور ك. كريشنا مورتي الراحل بعنوان "ثبت نقدي لدراسات راماينا في العالم" المجلد الاول ـ نيو دلهي ـ ساهيتيا اكديمي ١٩٩١م) و لا نذكر هنا التعليقات التي كتبت بالسنسكريتية حول راماينا لفالميكي و اسمار (جمع سمر بكسر السين بمعنى كتاب كبير) راماينا الاخرى لانها غير قليلة و لانها معروفة فعلا بين اوساط رجال العلم

ترجمات راماينا

و سنبدأ استعراضنا لراماينا من وضع فالميكي بترجمات في اللغات المحلية من اجل الحصول على فكرة عن انتشار و شيوع راماينا في مختلف انحاء الهند و سنكتفي هنا بالاشارة الى ترجمات ذات طابع مميز و لاسيما تلك التي احتلت مكانة لتار اسية

قام كاويكاندرا ماهنتا بترجمة راماينا الى اللغة الآسامية في نثر منهج متخذا التسميج الجنوبي أساسا لترجمته و قد حافظ في هذه الترجمة على تقسيمات النص الاصلي الى كتب و مجموعات محافظة بغية اعواهاتي جامعة عواهاتي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢م)

و ترجم راماينا الى اللغة البنغالية عدة مرات منذ اواخر القرن التاسع عشر و نعرف اثنتي عشرة ترجمة كهذه و ان اول ترجمة ظهرت كانت لراج كيسوري راي (كلكتا عورو داس سانوبادهانا ١٨٧٧) و قد انحرف هذه الترجمة في اشعار بسيطة و بالرغم من انه يقال ان المترجم قد اتبع في عمله التسميح الجنوبي الا ان هناك ما يدعو الى الاعتقاد بان تكون ترجمته قد تضمنت كثيرا من البدائع و ان ترجمة "راي" هذه قد اعقبتها ترجمة اشوتوش شاكرفارتي بعنوان "ساكترا راماينا" (كلكتا اعور ناث باشال ١٨٨٢) و تعتبر ترجمة "هيما شاندرا بهاتاشاريا" أصحّ الترجمات البنغالية البدائية و هي ترجمة نثرية باسلوب ممتاز غير ان اللغة التي استعملت فيها احتوت على بعض كلمات مهجورة و تتضمن طبعة هذه الترجمة النثر بالخط البنغالي كلكتا مطبعة فالميكي ١٨٨٤م) و هناك ترجمتان اخريان تستحقان التنويه بهما احداهما ترجمة من انجاز مجلس للمترجمين تحت ادارة التحرير لمارنسوار تهاكور

و ١٩٣ ـ ١٩٣٦) و الاخرى مرجمة صدرت مؤخرا لمترجمها دهايانيش ناريان شاكراهارتي (١٩٩٨)، و هناك ترجمات مختصرة لراماينا من وضع فالميكي الى اللغة البنغالية، و اهمها ترجمة راجاسيكار باسو ان هذه الترجمة تتضمن وصف كافة احداث راماينا بمنتهى الامانة، و استخدم فيه من روعة الاسلوب و السعة ما جعل هذا العمل ابجازا يتسم بالابداع و الخلق (كلكتا سوبريا، ١٩٤٦) و قد قيل لنا ان رابندرانات طاغور كان قد اصدر ترجمة مختصرة غير اننا لم نستطع للاسف الحصول على نسخة منها (الله اباد ـ المطبعة الهندية، ١٩٥٥).

و هناك ترجمتان بدائيتان باللغة الكوجراتية سميت احداهما كيترا راماينا لسرينيواس بهاقار راو المعروف بـ "بالا صاحب بانت براتينيدهي (بومباى مطبعة الهند البريطانية ١٩١٦) و الثانية نشرت باسم راماينا لـ م. هـ. ميهتا (مطبعة سري جانا ماندير ، ١٩١٥).

و من بين الترجمات الى اللغة الهندية هناك ترجمة شعرية لاحمد بخش سهانبسوري و هي ترجمة ممتعة للغاية و بالرغم من ان هذه الترجمة قد تم تحريرها للنشر و اصدارها في ١٩٨٣، إلا انها تبدو نتاج جهد مبذول قبل مدة طويلة (شانيكره هاريانا ساهيتيا اكاديمي) و قامت مطبعه ناوالكيشورى بلكناء (١٨٨٤) و مجلس "ساهتيا ساهاييى سابها" في الله اباد (١٨٩٢ ـ ١٩١٠) بطبع و نشر ترجمتين مجهولتين لم يعرف شيء عن مترجميهما، و لكننا لم نستطع ان نطلع على محتواياتهما لعدم توفر نسخهما. اضافة الى تلك تعتبر ترجمة رام ناراين داتا شاستري ايضا جهدا ممتازا من هذا المضمار (غورخبور مطبعة غيتا، ١٩٦).

مند راسب عرب سد و وما ه شه لما ء فهيد

و هناك عدد غير قليل من الترجمات باللغة التاملية و سنعرض النوعية باثنتين منها (١) لسنت سنجا هدر السبعا كارنا (١٩١١ - ١٩٢٢) و هي ترجمة استخدمت فيها لغة سهلة وبسيطة و هي لا تزال تقرأ على نطاق واسع حتى اليوم (٢) لراما براسادا غوبيسكرا هيسر (١٨٨٧) و هي ترجمة امينة مخلصة للاصل غير انها باسلوب قديم مهجور الاستعمال

و قام الشاعر الملايالمي فالاتول نارايانا مينون بلغته ترجمة موزونة باللغة الملايالمية و هي تعتبر اثرا ادبيا من الطراز الاول، و يقرؤها رجال العلم و البحث و كذلك عامة الناس على حد سواء (تريشور كاليا - موثرانام ١٩٠٩) و الذين يستحقون الذكر من بين الآخرين من المترجمين الى اللغة الملايالمية هم ك كريشنا وارير، و جي بي وارير و جي بي نريسماسا ابر

و هناك اكثر من ترجمة في كل من اللغات المراثية و الاوريه و التاميلية و قد اوردنا ذكر خمس عشرة ترجمة بلغة تيلغو في ثنايا الفحص النقدي لدراسات راماينا المذكور أعلاه غير انه تبين فيما بعد عندما أتيحت لنا الفرصة للتحقق من الصحة و الدقة ان بعض هذه الترجمات ليست مطابقة للأصل و انما هي ترجمات معدلة محورة و بمكاننا ان نشير من بين الترجمات الصحيحة الاصيلة بلغة تيلغو إلى ترجمات بيدابا سوماياجي (القرن التاسع عشر) و جانا مانشي سيشادري سارما، و سريسماسا سيروماني (١٩٦٨ - ١٩٨٣ الطبعة الثانية)

و هناك اربع ترجمات اوربية على الاقل اشتهر منها للكاتبين المسيحيين و هما منور لكوي و اوفيق لكوين و من الواضح ان هذا المقال لا يتسع لذكر الترجمات كلها لذلك نهمل كثيرا منها و لا سيما الترجمات الحرفية

النصوص الإقليمية

إن الـنـصـوص الإقـلـيـمية لراماينا المؤلفة في مختلف اللغات الإقليمية الـهـنـدية أكـثـر اهـمـيـة من الترجمات. إنها مؤلفات أصلية إبداعية و هي في مـعـظـمـها تسجل بدايات هذا الأدب في اللغات الخاصة بها و لا تكمن أهميتها في هـذا فـحسب و لكنها أيضا ذات أهمية لأنها تعكس الثقافات الإقليمية التي عـدلـت لها الأحداث الرئيسية لراماينا لكي تصبح ملائمة لهذه الثقافات. و تمثل هذه الـنـصوص العواطف و المعتقدات الدينية و المدركات الحسية الاجتماعية و الـقـيـم الـخـلـقـيـة الـتـي يُعزها و يحافظ عليها الناس في مختلف المناطق و الأقـاليم اللغوية، خير تمثيل فبعضها قطع أدبية رائعة و لكن جميعها تحتوى عـلـى مـادة قـيـمة لدراسة اجتماعية ثقافية للبلاد كلها ابتداء من القرن التاسع الميلادي على الأقل

و هذا الجزء من أدب راماينا واسع، فتمتز كل لغة بأكثر من نص لذلك فإن عـلـيـنـا أن نـكـتـفـي بذكر نصوص ذات طابع ممثل من اللغات الكبيرة. إن هذه الأسـمـار الإقـلـيمية لراماينا لا تبتكر أحداثا جديدة لم تكن معروفة لدى فالميكي فـحـسـب، و لـكـنـها أيضا تقدم بعض الأحداث الأصلية بأشكال مختلفة رائعة و مـمـا يـجـدر ذكره بشأن هذه الأحداث الجديدة، أو الأشكال المختلفة للأحداث الـمـنـصـوص عـلـيـهـا في تأليف فالميكي أن بعض هذه الأحداث تتجاوز حدود الـمـنـاطق المختلفة في الهند، و تمتد رحلتها عبر حدود البلاد إلى جنوب شرقي آسيا و جنوب آسيا و سنذكر هنا بضعة مثل هذه الأشكال المحورة فقط.

١ ـ كـان فـالـمـيـكـي الـحـكـيـم مجرما رهيبا في بداية حياته يقوم بنهب و اغـتـيـال الـمـسـافـرين الأبرياء. ثم طهر نفسه، في وقت لاحق، عملا بنصيحة

الحكيم ناراداء و ذلك بالتزام التقشف الشديد في حياته، فاصبح زعيما روحيا للهندوس و ألف رامايانا

٢ ـ أنجبت سيتا ولدا واحدا سمي بـ "لاف" أما الإبن الآخر الذي يدعى "كوشا" فقد خلقه فالميكي من عشب "كوسا" بما كان يملكه من القوة الخارقة للطبيعة

٣ ـ كانت سيتا إبنة رافان و قد تم هجرانها على مشورة تنجيمية، ثم جاء بها و تبناها الملك جاناكا

٤ ـ بعد اغتيال رافان على أيدي راما تزوجت ماندوداري زوجة رافان من فيبهيسانا

٥ ـ ساهم قرقذان مساهمته المتواضعة في بناء الجسر عبر البحر

٦ ـ بعد الانتصار على رافان، عاد راما و حاشيته إلى أيودهيا ماشين على الأقدام و ليسوا طائرين بمركبة "بوشباك"

٧ ـ ارتاب راما في الأمانة الزوجية لسيتا عندما وجد عندها صورة لرافان من رسمها فنفاها إلى الغابة

و يرجع الفضل في وضع أقدم نسخ لرامايانا في لغة إقليمية إلى الشعراء الجينيين من منطقة كارناتكا فقد نظم هؤلاء الشعراء رامايانا ابتداء من القرن الحادي عشر، و تتابعوا في هذا العمل باستمرار حتى القرن التاسع عشر و يعزى أقدم نسخ من مثل هذه الأسفار لرامايانا الى ناغاكاندرا من القرن الحادي عشر و يحمل رامايانا من وضعه عنوان بوبيا ـ رامايانا أو راما ـ كاريترا جورانا و لما كان هذا الشاعر يعرف بـ ابهيناقا بامبا فقد أصبح رامايانا من وضعه أيضا

معروفا بـ "رامنا راماينا" بين الجماهير و أعقب هذا العمل نص آخر لراماينا من وضع كوموديندو (القرن السادس عشر) و نص غيره من وضع نيغانانا (من نفس القرن السادس عشر) إلى جانب نصوص أخرى

و قد أدى التقليد البراهماني لشعراء اللغة الكانادية إلى إحداث عدة أسفار و نصوص لراماينا، و يجب أن يذكر من بينها راماينا لنا راهاري (من القرن السادس عشر) و يعرف هذا النص لراماينا بـ"تورافي راماينا" لأن مؤلفه ناراهاري كان يسكن قرية يقال لها توراقي و يروي "توراقي راماينا" قصة ستة كتب من راماينا ابتداء من كتاب بالا كاندا إلى كتاب يودها كاندا و هذا النص مستمد، بصفة رئيسية، من ادهياتما راماينا السنسكريتي و التنقيح الجنوبي لراماينا من وضع فالميكي، و إن كان المؤلف قد أضاف من عنده عددا من أمور مستحدثة و الفكرة الرئيسية التي يركز عليها هذا النص لراماينا هو الانقطاع للعبادة و التفاني فيها و وضع ناراهاري مؤلفا موجزا آخر أطلق عليه اسم ميرافانا كالاغا غير أنه لا يتمتع بالشعبية و النص الآخر الذي يلي النص المذكور في الأهمية باللغة الكانادية هو الذي يعرفُ بـ جيميني بهاراتا للاكسميسا الذي يرتكز على عمل أدبي سنسكريتي بنفس الإسم

و يزخر أدب لغة تيلغو بالشعر الراماياني غير أن أكثر نصوص راماينا بلغة تيلغو من حيث الشعبية هو المؤلف الضخم الذي وضعه رانغاناثا (من القرن الرابع عشر) باسم "ديفانادا راماينا"، و هو يعرف أيضا براماينا لرانغاناثا و يمكن أن يذكر كذلك نصان آخران من بين نصوص راماينا الكثيرة بلغة تيلغو و هما نيرفاتشوتارا - راماينا لتيكانا (القرن الثالث عشر) و بهاسكرا راماينا لبهاسكارا (القرن الرابع عشر) غير أن أكثر نصوص راماينا بلغة تيلغو شعبية

هو مولا رامايانا المته الشاعرة مولا باسلوب فاتن خلاب مزيج من النثر و الشعر و قد كتب هذا النص لرامايانا بلغة تتميز بالسهولة و الحماسية و يتمتع به عامة الناس و كذلك رجال الفكر و البحث على حد سواء و قد عاشت الشاعرة المؤلفة لهذا النص إما في للقرن الثالث عشر او في القرن الخامس عشر

إن أول نص لرامايانا عرف باللغة المالايالامية هو المعروف بـ"راما كاريتاما" لمؤلفه "راما" من القرن الرابع عشر و هذا النص لرامايانا المؤلف بلغة قديمة فخمة يحكي القصة الوحيدة للمعركة بين راما و رافان و قد وضع معاصره ايى بيلاسان مؤلفا تحت عنوان "راما كاتهاباتو" بفكرة رئيسية مماثلة غير أن جميع النصوص المالايالامية لرامايانا قد تضاءلت شعبيتها بعد ظهور "ادهياتمارا مايانا" الذي ألفه "ايلوتاكشان" (من للقرن السادس عشر) اذ فاقها جميعا لما امتاز به من شعر رائع و وصف مؤثر لعاطفة التنسك و يتلى "ادهياتما رامايانا" كجزء من الطقوس الدينية في معظم العوائل الهندوسية في كيرالا بمختلف المناسبات الميمونة و يوجد هناك اناس كثيرون متعلمون و اميون يستطيعون تلاوة هذا النص لرامايانا عن ظهر قلبهم

إن اقدم نص من نصوص رامايانا الشمالية هو رامايانا الاسامي لمادهافا كاندالي الذي ينتمي إلى للقرن الرابع عشر و هو يعرف عادة بكاندالي رامايانا و إن رامايانا الاسامي المتوفر الآن هو في للواقع عمل مشترك لثلاثة شعراء فقد كتب مادهافا كاندالي من ايودهيا كاندا إلى يودها كاندا، و أضاف سانكارا ديفا، معلم فيسنافا الكبير، من القرن السادس عشر، اوترا كاندا، بينما كتب تلميذه "مادهافا ديفا" "بالا كاندا" و قد وضع هؤلاء الكتاب الثلاثة أيضا مؤلفات مستقلة، في كل من الشعر و الدراما حول مختلف أحداث أسطورة راما و ألف

كانت لحر استا كاندالى (من القرن السادس عشر) أيضا راماينا بصيغتين مختصرتين إلى جانب مسرحية تدور حول فكرة راماينا

ان رامايانا أو راما بانكالي لكريتيماسا (القرن الرابع عشر) أكثر نصوص رامايانا السنغالية شعبية فيقرؤه الجميع - من الفلاحين الفقراء الى الأغنياء و المثقفين و قد سببت الشعبية التي يتمتع بها كريتيفاسا تغييرات جذرية في لغات راماينا الذي وضعه و ذلك مطاوعةً للتغييرات المتغيرة لمختلف الفترات و المناطق، إلى حد انه أصبح من المستحيل الآن استعادة القراءة الاصلية للمتن ناسره لكريتيماسا و هذا النص لراماينا البنغالي قد تم تحويره كليا بحيث يتلاءم مع ثقافة بنغال من عهد القرون الوسطى

و النص السنغالي الآخر لراماينا الذي يستحق أن يذكر بصفة خاصة هو "شاندرافاتي راماينا" و هذا النص الموجز الناقص لراماينا كانت قد وضعته امرأة شاعرة تسمى شاندرافاتي من القرن السادس عشر و كانت شاندرافاتي الابنة الوحيدة لبانشي داس الذي كان برهميا من سكان قرية صغيرة تسمى باتوارى بضيرية ميميسنغ الواقعة الآن في بنغلاديش و كان بانسى داس معروفا جيدا في عصره بكتابة الأغاني حول الإلهة منانسا و كانت بنته امرأة موهوبة قرضت أشعارا كثيرة اضافة إلى نظمها لراماينا بايجاز و بالرغم من أن شاندرافاتي تمجد راما بوصفه "افاتارا" (تجسيد إله في شكل انسان) إلا انها تنتقد راما لقيامه بنفي سيتا التي كانت قد أصبحت ضحية مؤامرة دبرتها كاكوا أخت راما من زوجة أبيه و كان دينيش شاندرا سين قد اكتشف هذا النص لراماينا، و نشره أولا في "بوربا بانغا غيتيكا" المجلد الثاني رقم٢ (جامعة كلكتا)

و قد ظهر أخيرا نص بنغالي لخر لراماينا غير معروف نسبيا و يسمى جاغاترامى راماينا، و قمه جاغاترام و ابنه راما براسادا اللذان كانا من سكان قرية صغيرة تسمى "بهولوى" بمديرية بانكورا من بنغال الغربية و كانا قد ألفا هذا النص لراماينا في أواخر القرن الثامن عشر و ينقسم جاغاترا في راماينا إلى ثمانية كتب مع كتاب مزيد فيه بين يودها كاندا و اوترا كاندا و يبدو أن الغرض من كتابة هذا النص لراماينا كان الدعوة للتنسك و العبادة وفقا لفيشنافية المدرسة البنغالية

و يحتل راما كاريتا- ماناسا للشاعر التقي "تولا سيداسا" مكان الصدارة بين سائر نصوص راماينا الاقليمية و عاش تولا سيدلسا و كتب في القرن السادس عشر و كان لشهر مفسر و شارح لحركة التعبد و التنسك و يتمتع مؤلفه راماكاريتا - ماناسا المنظوم بقالب شعري اوجمي ربان شعبية بين الناس من مختلف طبقات الشعب، لا تضاهيها شعبية في الأدب العالمي و الهند الشمالية كلها مشربة بمحوى ماناسا مصدر الفكر و الإلهام و قد تسبب هذا المتن الفذ في نشوء كثير من أشكال الفن كالصور الزيتية المصغرة التي وجدت في المخطوطات و هو ايضا يستخدم كمتن اساسي للاداء التمثيلي الشعبي لراماليلا (مسرحية تعرض في موكب) الذي يجذب جموعا غفيرة من الجماهير في جميع أنحاء شمال الهند حتى اليوم

و من المعتقد ان راماينا لكامبار أسبق تاليف حول أسطورة راما باللغة التاميلية و ذكر بعض الباحثين التاميليين أن عهد هذا المؤلف (كامباراماينا) يرجع إلى القرن التاسع بينما يرى معظم المؤرخين انه ينتمي الى القرن الثاني عشر و يلاحظ ان راماينا لكامبار الذي يحتوى على ستة كتب من كتاب بالا (بالاكاندا) إلى كتاب يودها (يودها كاندا) يقتدى راماينا لفالميكى على العموم

غير أنه يُصمّن تأليفه عناصر من حانا كيهارانا لكومارا داس و تقاليد أخرى محلية و قد ألف كامبارا مانيا بالشعر و استخدمت فيه اللغة التاميلية السائجة من القرون الوسطى و يحث هذا التأليف على التحلي بالقيم الخلقية السامية و الاهتمام بالتنسك.

و قد ترجمت نصوص اقليمية كثيرة لراماينا إلى اللغات الأخرى و على سبيل المثال فقد ترجم كامبارامايانا إلى اللغات الانجليزية و الهندية و السنسكريتية و سائر لغات الهند الجنوبية كما ترجم راما كاريتا ماناسا لتولا سيداسا إلى اللغات الفرنسية و الانجليزية و البنغالية و السنسكريتية و إلى كثير من اللغات الهندية الأخرى و قد اضطلع وقف بهوفانا فاني، بلكناؤ بمشروع خاص بنشر جميع النصوص الاقليمية لرامايانا بالخط الديوناغري مع الترجمة الهندية

هذه هي قصة رحلة رامايانا، على مرّ العصور و الأزمان، في مختلف أنحاء العالم و ليست هي الصورة الكاملة، و لا بوجه من الوجوه، و إنما هي محاولة، بذلت في هذا المقال، لرسم صورة كمافية لهذه الرحلة الممتعة الخلابة

تعريب: عميد الزمان القاسمي الكيرانوي

◆◆

الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية
في الأدب الأردي

بقلم د. جلال السعيد الحفناوي
قسم اللغات الشرقية - كلية الآداب
جامعة القاهرة - مصر

مقدمـــــة

احتل أدب الرحلة مكانة بارزة عند المسلمين فأنتجت الشعوب الإسلامية أدبا وفيرا في هذا الفن بالعربية و الفارسية و الأردية و التركية و غيرها من اللغات الإسلامية، و الحقيقة أن المسلمين قد تفوقوا على غيرهم في هذا الفن الأدبي و هذا ما شهد به كبار المستشرقين أمثال دوزي و أماري و كراتشوفسكي و وليم رايت ودي جوية فقد كان الرحالة المسلمون مشعلا لهداية العالم و تزويد البشرية بالمعلومات القيمة عن البلاد التي وطئوها خاصة في العصور الوسطى و على رأسهم ابن جبير الأندلسي و ابن بطوطة و ابن فضلان لقد كانت رحلة المسلمين في أوائل العصر الإسلامي تنقر بخطوات سريعة رغبة في ارتياد المجهول و تقصي الحقيقة و طلب العلم و المعرفة من مواطنها الأصلية

ثم تفرع من أدب الرحلات فرع وليد نشأ في حضن الحضارة الإسلامية و هو الرحلات الحجازية أو الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية و سرعان ما اشتد عوده و تكونت ملامحه و تأصلت أصوله و قواعده و ظهر فيه عدد وفير من هذه الرحلات يصعب على المرء أن يحصيها عددا، لأن أهم بواعث الرحلة و أعظمها شأنا عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام و زيارة

قبر الرسول صلى الله عليه و سلم و قد سجل النابهون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم و ارتساماتهم و احاسيسهم و كذا الطرق و الدروب التي مروا بها و سلكوها و الأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة و ليس من شك في ان مدونات شاهد الرؤيا أصدق قيلاً و اقوى تاثيرا ممن سمع أو قرأ و كان الحاج يجني من رحلته إلى الحجاز فضلا عن تادية الفريضة، فوائد جمة، منها الالتقاء بمعظم علماء و فقهاء العالم الإسلامي، و منها المجاورة و قد كتب هذه الرحلات أدباء و أمراء و فقهاء و ملوك و محدثين و نساء

و قد احتلت شبه الجزيرة العربية بصفة عامة و مكة و المدينة و الحجاز بصفة خاصة مكانة سامية في الأدب الاردي عند مسلمي شبه القارة الهندية الباكستانية الذين كتبوا رحلاتهم باللغة الأردية عبروا فيها عن مشاعرهم الجارفة نحو هذه البقاع المقدسة و اهتموا بذكر التفاصيل الدقيقة عن تاريخ شبه الجزيرة العربية و كذلك العادات و التقاليد و الجوانب السياسية و الاجتماعية و الجغرافية و الروحية و ظهر في الأدب الاردي فرع ادبي خاص بالرحلة إلى الحرمين الشريفين يسمى "أدب الرحلات الحجازية"

و تعتبر كتابات الرحالة الهنود عن شبه الجزيرة العربية مصدرا هاماً من المصادر التاريخية و مادة علمية رصينة يمكن أن تساعدنا في التعرف على كثير من الجوانب الهامة في تاريخ شبه الجزيرة العربية لان هذه المنطقة الحيوية من العالم تمثل نقطة جذب هامة للأسيويين بصفة عامة و مسلمي شبه القارة الهندية بصفة خاصة و لقد كانت زيارة الحرمين الشريفين في مكة و المدينة من العوامل الهامة في الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الاردي في القرنين التاسع عشر و العشرين و تعددت هذه الرحلات حتى تعدت مائة و ثمانين رحلة لم يترك فيها الرحالة في الهند و باكستان معلومات إلا و دونوها في رحلاتهم و قد ظهرت دراسات عديدة في الآداب الإسلامية اكدت

على انفراد اللغة الأردية بهذا الكم الهائل من الرحلات الى شبه الجزيرة العربية و هذه الرحلات تحتاج إلى هيئة علمية كاملة لدراستها و تحليل مضمونها

و سوف لتناول في بحثي هذه الرحلات و مساهمة مسلمي الهند و باكستان في هذا المجال من الناحية التاريخية منذ البدايات الأولى لهذا الفن الأدبي و حتى العصر الحديث، و سوف أبدأ بأقدم هذه الرحلات مثل "رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق ثم رحلة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (٩٨٨هـ) و شاه ولي الله الدهلوي "فيوض الحرمين" (١١٤٤هـ) و من الرحلات الهامة التي سوف اتناولها - رحلة عرفان علي سفرنامه حجاز - (الهند ١٨٩٥م) و زاد غريب محمد عمر علي خان (الهند ١٨٨م) و نصير أحمد ناصر (روداد سفر حجاز باكستان ١٨م) و رحلة عبد الماجد دريا بادى سفر حجاز (الهند ١٩٣٦م) سفر ارض قران للمودودي (باكستان ١٩٧م) و حافظ لدهيانوي جمال حرمين (باكستان ١٩٨٣م) و اسعد جيلاني مشاهدات حرمين (باكستان ١٩٨٤م) و أخيراً رحلة اشفاق نقوي رياض كى سير (أي نزهة في الرياض) لاهور (باكستان ١٩٧٨م) و غيرها

و سوف أركز في بحثي على وصف الرحلة سواء كانت برية أو بحرية و دقة المعلومات التي ذكرها أدباء الاردية و وصف مخاطر الرحلة و مساجلات العلماء و الوصف الدقيق لمكة و المدينة و سوف أفصل القول في رحلة سلطان جهان بيجم لشبه الجزيرة العربية في ١٣٢هـ - ١٩٠٢م و كذلك رحلة مولانا الماجد دريا بادى الهندي، و في نهاية بحثي سوف اذكر ببليوجرافيا للرحلات الى شبه الجزيرة العربية في الأدب الاردي

الرحلة - و أسبابهــــا

و السفر كلمة عربية و معناها في المعاجم للسياحة و الترحال و الرحيل و الرحلة لغوياً من يرحل رحلا و رحيلا و ترحلا ذهب و رحله من بلده أخرجه منها و ارتحل القوم انتقلوا و الراحلة الناقة الصالحة لأن تركب و الرحلى

مركب للبعير أصغر من القتب و الرحل أيضا ما يستصحبه المسافرين من الأوعية جمعه رحال و الرحلة الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكة رحلتنا، و هو عالم رحلة أي يرحل إليه. (٣)

لكل هذه التفسيرات جميعاً كانت رحلة المسلمين في أوائل العصر الإسلامي و إذا كانت الجوانب المادية للحضارة الإسلامية، أخذت منذ البداية تخطو خطى وئيده متزنة، إلاّ أنها بالنسبة للرحلة و الترحال و الرحالة كانت تقفز بخطوات واسعة في ارتياد المجهول و تقصي الحقيقة و طلب العلم و المعرفة من مواطنها الأصلية (٤)

و فن كتابة الرحلة ـ مثل الأدب ـ ينطوي على التجارب و المشاهدات الشخصية لكاتب الرحلة في صياغة مؤثرة سلسة و لهذا فإن الرحلة من هذا الجانب الفني قريبة جداً من الأدب على الرغم من الاختلاف في وسيلة التبليغ

و للسفر و الرحلة أهمية كبيرة من الناحية الدينية، فمنذ أن خرج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة و نزل على الأرض كان سفره هذا أول خطوة نحو تطور الحس البشري و قد ورد في القرآن قوله تعالى "سيروا في الأرض"، و على هذا فالسفر في الأرض يقوم به الإنسان تنفيذا للأمر الإلهي و السفر وسيلة للنظر و يوجد في القرآن نماذج عديدة لرحلات و سفر الأنبياء الكرام مثل سيدنا نوح و موسى و يوسف و سيدنا إبراهيم الذي اختار السفر البري في الصحراء و بنى بيت الله و الذي صار في النهاية مركزا للرشد و الهداية و صار هذا المكان المقدس أهم سفر روحاني يقوم به الإنسان حتى الآن و منذ مئات السنين كما تعتبر هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة نوعاً من السفر و لهذا فإن السفر و الرحلة إلى أنحاء الأرض و رؤية أحوال الناس و التمتع بمناظر الطبيعة من الموضوعات التي لها اهتمـــام عظيم من الجانب الإسلامي. (٥)

و يرى مولانا محمد رابع الندوي "ان كتب الرحلات تحتوي على اهداف عديدة و لهذا نجد التنوع في موضوعاتها و اساليبها و لكثر اقسام هذا التنوع هو كتب الرحلة إلى الحج التي تحمل مزايا مختلفة و ذخيرة هائلة من النثر و الشعر على السواء (٦)

و ادب الرحلة هو ذلك التاليف النثري المطول الذي يتحدث الاديب فيه عن رحلة تجشم مشاقها، و مر خلالها بمدن و قرى و عبر جبالا و اودية و صحارى، و والجه احداثا و لقي مفاجآت و غرائب لا يعرفها في بيئته، و مثلما يهتم الأديب فيها بالمواقع و المشاهدات يهتم بالعلاقات البشرية، و العادات و التقاليد التي يراها في رحلته، فيرصد ذلك كله الوصف و الوجدانية في المواقف، و الفنية في اسلوب العرض و من المعروف ان للرحلة مكانة كبيرة في حياة العرب منذ العصر الجاهلي، فالعرب البدو يعيشون في رحلة دائمة وراء الماء و الكلأ، و العرب الحضر في ـ غالبيتهم ـ أصحاب تجارة تخب بهم القوافل إلى الاسواق المنتشرة في الجزيرة العربية و توغل بعضها ـ كقوافل قريش ـ إلى اليمن جنوبا و القسطنطينية شمالا في رحلتي الشتاء و الصيف

و فتح الإسلام ابوابا جديدة لرحلات ليس هي طبيعتها سلبيات رحلة البدوي و رحلة التجارة و جنى عليها رحلات يجد فيها الاديب مثيرات وجدانيه غنية و دوافع قوية للابداع هذه الرحلات هي رحلة الحج، و الحج هو الركن الخامس من اركان الإسلام، و تزداد أشواقهم اليه بازدياد المسافة التي تفصلهم عن موقعه، فيتجهزون له و يرحلون في قوافل تعبر السهول و القفار، و قد تركب البحار و تتعرض للاهوال، و ترتبط هذه الرحلة بالمشاعر الايمانية العظيمة، و يكون المسافر فيها مهيئا لاستقبال الاحداث التي تصادفه و التفاعل معها بعواطف متوقدة (٧)

لذلك كان الحج ـ كما يقول الدكتور حسين محمد فهيم من اهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من فج عميق و على كل ضامر الى الرحلة و الانتقال (٨)

و من العوامل الدينية التي ساعدت على الارتحال في فجر الإسلام، هو جمع الحديث من أفواه الرواة و طبيعي أن تكون الرحلة من اهم الوسائل لطلب العلم في اوائل العصر الإسلامي، فقد كانت الكتب نادرة، و كانت الدراسة العلمية تقوم مقام المراجع و المؤلفات اليوم و فضلاً عن ذلك، فقد تعددت مراكز الثقافة في ديار الإسلام فكان رحال العلم ينتقلون من إقليم إلى آخر يدرسون على مشاهير الأساتذة و يلتقون بأعلام الفقهاء و المحدثين و اللغويين و كذا الاطباء و الفلاسفة و الرياضيين (٩)

و اهم الاسباب و الدوافع التي مهدت للرحلة و الرحالة الطريق لارتياد العالم، هو اتساع رقعة الدوله الإسلاميه التي امتدت من الصين شرقا و حتى المحيط الاطلسي غربا فلقد عني المسلمون عناية خاصة بالبلاد التي خضعت لهم و اصبحت جزءا من دولتهم، فدونوا لها الدواوين و عبدوا اليها الطرق و نظموا لها البريد (١)

و اذا درسنا كتب الرحلة الى شبه الجزيرة العربية من الناحية الفنية نجدها قائمة على كتابة المذكرات و الخواطر اليومية في قسم كبير منها، و القسم الآخر يستعمل كتابة الرسائل بشكل اساسي و جوهري و بعض كتب الرحلة الى الحج يتم جمع موادها و ترتيبها اثناء الرحلة و هذا افضل حيث يكون الذهن و القلب و الروح في حالة سمو روحي و يقظة فكرية حيث أن كتابة هذه التجربة الروحية بعد العودة من الحج يفقدها عنصر الشوق و الحب الحارق الذي لا يتاتى الآ بتاثير المكان

و إذا نظرنا الى تاليف كتب الرحلة الى شبه الجزيرة العربية في الادب الاردي من الناحية الجغرافية و المكانية نجد أنها في باكستان اغزر من الهند، و من ناحية الموضوع نجد أن كتب الرحلة الى شبه الجزيرة العربية لو الرحلات الحجازية الأولى تشبه إلى حد كبير من ناحية الشكل و الموضوع أسلوب كتابة دليل الحج و الحاج حيث يضع مؤلفوها نصب أعينهم كيفية التغلب على

المشاكل و الصعوبات التي قابلوها لكي يحسوا الاخرين الوقوع فيها، و النوع الاخر من كتب الرحلة إلى شبه الجزيرة العربية يتناول لحداث السمر و مناسك الحج ينبغي ان يظهر فيها التاثير بالمشاهدات و زيادة الاماكن المقدسة و تكتب بدماء التجربة و بعقيدة الحب (١١)

الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الادب العربي

تعد زيارة الحرمين الشريفين ركنا هاما من أركان الإسلام الخمسة و يحلم المسلم طوال حياته باداء هذا الركن المبارك و عندما يكمل هذا الفرض و بعد ان يزور مكة المكرمة و المدينة المنورة يشعر بسعادة الارتباط المباشر مع الرسول الكريم و الدين الحق و المركز الاول للدين الإسلامي و يكون قد صقل عقيدته فالرحلة الحجازية ليست مجرد سفر ارضي فحسب بل هي رحلة تتم بدافع من الحب و التعلق القلبي العميق بالإسلام و رسوله صلى الله عليه و سلم إضافة إلى المشاعر الروحية المتدفقة، فالديار المقدسة هي منتهى امل المسلم و نجد البدايات الاولى لوصف لحداث الحج الى الحرمين الشريفين في الادب العربي في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم "لابي عبد الله المقدسي" و "المسالك و الممالك" لابي القاسم محمد بن خوص البغدادي و الذي كتبه بناءً على نصيحة من الاصطخري

و تعتبر رحلة ابن جبير الاندلسي من اهم الرحلات العربية الى شبه الجزيرة العربية و اقدمها طرأ، و قد تعددت رحلات ابن جبير فبلغت ثلاثا من الأندلس إلى المشرق و حج في كل واحدة منها، فصل عن غرناطة أول ساعة من يوم الخميس، لثمان خلون من شوال سنة ٥٧٨هـ و صف الرحلة المشهورة، و لما شاع الخبر المبهج بفتح بيت المقدس، قوى عزمه على اعمال الرحلة الثانية، فتحرك إليها من غرناطة سنة ٥٨٥هـ ثم اب إلى غرناطة سنة ٥٨٧هـ و سكن غرناطة ثم مالطة ثم سبتة ثم فاس منقطعا إلى اسماع الحديث و التصوف و تروية ما عنده، ثم رحل الثالثة من سبتة بعد موت زوجه عاتكه لم

المسجد ست الوزير ابي جعفر الوقشي، و كان كلماً بها حماً معظم وحده عليها فوصل مكة و جاور بها طويلاً، ثم بيت المقدس، ثم تحول إلى مصر و الإسكندرية فاقام يحدث و يؤخذ عنه الى ان التحق بربه (١٢)

و تعد رحلة ابن جبير إلى الحجاز و الحرمين الشريفين من اقدم الرحلات العربية و قد سافر ابن جبير للحج في ظروف صعبة و لكنها اثمرت فوائده له يقول لسان الدين ابن الخطيب عند الحديث عن اخلاق ابن جبير، و كان اديباً بارعا، شاعرا مجيداً، سنياً فاضلا، نزيهة الهمة، سرى النفس، كريم الاخلاق، انيق الطريقة في الخط و محاسنه صحمة و ذكره شهير و رحلته نسيجه وحدها طارت كل مطار، رحمه الله (١٣)

و تحتل رحلة ابن بطوطة للحج اهمية كبيرة بين كتب الرحلة إلى الحج الاولية و القديمة فقد كان ابن بطوطة رحالة بالفطرة جاب انحاء الارض حيث قضى من عمره ثمانية و عشرين عاما في الترحال و حج إلى بيت الله ثلاث مرات غادر في الرحلة الاولى منها مدينة طنجة سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٦م و بعد تادية الحج إتجه إلى العراق و ايران و بلاد الاناضول ثم عاد إلى الحجاز و حج للمرة الثانية و بقى مجاورا في مكة مدة سنتين

و بعد ذلك توالت الرحلات الحجازية سواء كانت من المشرق العربي ام من المغرب العربي و من اهم هذه الرحلات رحلات المغاربة الذين اولعوا شوقاً بزيارة الاماكن المقدسة في مكة و المدينة و سافر الواحد منهم اكثر من مرة للحج و نذكر منهم رحلة العبدري (٨ ٦هـ) و رحلة ابن سعيد المغربي (٦٨٥هـ) التي سماها "النفحة المسكية في الرحلة المكية" ثم رحلة ابن رشيد السبتي (٧١١هـ) و رحلة عبد المجيد بن علي الزيادي الفارسي (١٢٠٩هـ) و التي سماها "بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام" ثم رحلة ابن جعفر محمد بن إدريس الكتاني (١٣٤٥هـ) التي سماها "الرحلة السامية للإسكندرية و مصر و الحجاز و البلاد الشامية" و رحلة ابن محمد الهشتوكي التي سماها "هداية

الملك العلام إلى بيت الله الحرام و زيارة النبي عليه الصلاه و السلام" و رحلة عبد السلام الدرعي الناصري و رحلة ابن مليح (٤٢ ام) حيث كتب رحلة حجازية سماها "أنس الساري و السارب من أقطار المغارب إلى منتهى الامال و المارب سيد الأعاجم و الأعارب"، و غيرها

ثم توالت الرحلات الحجازية في العصر الحديث و نجد ان المشرق العربي قد نهض و تفوق في هذا الفن الأدبي نذكر منه عدة أمثلة فقط على سبيل المثال لا الحصر "الحقيقة و المجاز في رحلة الشام و مصر و الحجاز" لعبد الغني النابلسي، و "الرحلة الذهبية في الأقطار الحجازية" لاحمد بن علي الشاذلي" و "الحلية الحقيقية في الرحلة الحجازية" لمصطفى كمال الدين صديقي و "التحفة اليمنية في الاخبار الحجازية" لمحمد بن علي عرعار اليمني" و "الفوائد السنية في الرحلة المدنية" لمحمد بن احمد المطي الملكي، "الرحلة المكية" لعلي بن يحي الكيلاني، "الرحلة الانورية الى الاصقاع الحجازية و الشامية" لمحمد كرد علي، "مراة الحرمين" لإبراهيم رفعت "الرحلة الحجازية" للبتانوي، و "الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف" لشكيب ارسلان، "في منزل الوحي" لمحمد حسين هيكل، "رحلة الحجاز" للمازني و غيرها، هذا إلى جانب الرحلات الحجازية المنظومة و اهمها ما نظمه امير الشعراء احمد شوقي إلى عرفات الله و طالما ظلت افئدة المسلمين تهفوا إلى الاماكن المقدسة فسوف يخرج العديد من الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية التي تعبر عن الشوق الكبير الى الاماكن المقدسة و سوف تستمر اقلام الكتاب في تدوين مشاهداتهم و انطباعاتهم عن هذه الرحلة حتى قيام الساعة

الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الادب الاردي

تعد الرحلة إلى الحجاز فرعا جديداً من ادب الرحلات، فالحج سفر روحاني و هي ليست مجرد رحلة إلى ارض يطئونها فحسب بل هو سفر يحدوه

عاطفة الشوق إلى رسول الله و ارض القرآن و سعر هدفه التقرب من الله و نبيه الكريم، و الرحلات الحجازية في الأدب الأردي جزء هام من أدب الرحلات و قد كتبت هذه الرحلات باعداد هائلة من الصعب على المرء أن يحصيها عددا

تعد رحلة الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي إلى شبه الجزيرة العربية المعروفة باسم "جذب القلوب الى ديار المحبوب" أقدم الرحلات التي انطلقت من شبه القارة الهندية إلى شبه الجزيرة العربية و كتبها باللغة الفارسية ثم قام محمد شفيع مراد آبادي بترجمتها الى الأردية باسم "ديار حبيب" و قد نال الشيخ عبد الحق شرف زيارة هذه الأراضي المقدسة و زيارة بيت الله في عام ١٥٨٩هـ

و تأتي بعد ذلك رحلة شاه ولي الله الدهلوي إلى شبه الجزيرة العربية و المعروفة باسم "فيوض الحرمين" عام ١٧٢٨م و تعد وثيقة هامة لعلماء مكة و المدينة في ذلك العصر ثم قام مولوى رفيع الدين مراد آبادي برحلة إلى شبه الجزيرة العربية سماها "سوانح الحرمين"، و تعد ذات أهمية بالغة من الناحية الأدبية و كتبها باللغة الفارسية و تعد من أقدم الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الهند و قام سليم أحمد فريدي أمروهي بترجمتها إلى الأردية باسم "سفرنامه حجاز" و نشرها في مجلة "الفرقان" في لكنؤ في مايو و يونيو ١٩٦١م و توجد نسخة من هذه الرحلة في مكتبة رامبور في الهند و صنعت تحت اسم "آداب الحرمين" بينما يسميها نواب صديق حسن خان بـ "حالات الحرمين" و قد سافر مولوى رفيع الدين إلى شبه الجزيرة العربية ليحصل على شهادة بالإجازة في علم الحديث عام ١٧٨٧م و عاد ١٧٨٩م و تعد رحلته "سوانح الحرمين" ذات أهمية تاريخية و جغرافية و حضارية

ثم قام نواب مصطفى خان شيفته برحلة إلى شبه الجزيرة العربية و هي معروفة باسم "ترغيب المسالك إلى أحسن الممالك" و تحمل أهمية عظيمة من الناحية الأدبية فقد كان شاعرا فحلا و أديبا قد سافر الى بيت الله في مارس

١٨٢٩م و عاد الى الهند في فبراير ١٨٤١م و قد دون ملاحظاته على المدن و الاماكن التي زارها في شبه الجزيرة العربية بطريقة المذكرات اليومية (١٤)

و تأتي بعد ذلك رحلة حاجي محمد منصب علي خان الى شبه الجزيرة العربية و هي "ماه مغرب" و المعروفة بـ "كعبه نما" عام ١٨٧١م و يعد الدكتور منظور إلهي ممتاز هذه الرحلة أول رحلة باللغة الأردية تحتوي على معلومات هامة عن كيفية السفر الى شبه الجزيرة العربية بحيث يمكن للرحالة الذين سافروا بعده أن يستفيدوا من هذه الرحلة و مع أن المعلومات التي قدمها سطحية الاّ إنها معلومات اساسية حيث تحدث بالتفصيل عن العملات النقدية المستعملة في كل من الهند و عدن و الجزيرة العربية في ذلك الوقت و المياه الصالحة للشرب

و قام محمد عمر علي خان برحلة إلى شبه الجزيرة العربية في عام ١٨٨٠م و هي المعروفة باسم "زاد غريب" و هي رحلة مفصلة للاماكن المقدسة في مكة و المدينة و جدة (١٥)

و حتى العصر المغولي لم تكن هناك رحلات حجازية، و كانت أول رحلة الى شبه الجزيرة العربية في الأدب الاردي هي (رحلة الصديق الى بيت الله العتيق) و كتبها الامير صديق حسن خان بهوبالي عام ١٢٦٨هـ و مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ظهر سيل من الرحلات الاردية لشبه الجزيرة العربية و الحرمين الشريفين

و كانت رحلة حاجي منصب علي خان للحج "ماه غرب" (قمر المغرب) و المعروفة بـ "حج نما" و التي كتبها عام ١٨٧١م من الرحلات الجديرة بالذكر هنا حيث كتب فيها رحلته بكل ما فيها من محاسن و مساوئ و صعوبات و مشاكل بصدق و بدون تكلف، و يمكن للذين سافروا بعده أن يستفيدوا منها استفادة كاملة، و مع أن المعلومات التي ذكرها سطحية الاّ انها أساسية

و خاصة عن المناطق التي زارها في شبه الجزيرة العربية - مكة و المدينة و جدة و نجد و غيرها و النقد الذي يمكن أن يقدم إلى هذه الرحلة هي أن الوصف و البيان فيها بكلمات جافة بعيدة عن الاحاسيس و المشاعر

و تأتي بعده رحلة "زاد غريب" لمحمد عمر علي خان التي كتبها عام ١٨٨م و قدم فيها أحداث تاريخية و جغرافية هامة لمنطقة الحجاز، و لأن هذه الرحلات تعد من أوائل الرحلات من شبه القارة الهندية إلى شبه الجزيرة العربية فقد كانت تفتقر إلى التأثير و المشاعر ثم تأتي بعد ذلك رحلة وزير حسين بريلوى "وكيل الغربا" و دوّن فيها خلاصة تجربة رحلته إلى شبه الجزيرة العربية و تناول موضوع الحج من مختلف جوانبه المادية و الروحية فكان بحق مرشدا للحجاج الذين جاءوا من بعده (١٦)

و في هذه الحقبة الأولى رحل الرحالة الهنود إلى شبه الجزيرة العربية و دونوا رحلاتهم عنها و بصفته خاصة عن الحرمين الشريفين و ذلك باللغة الأردية و كان أهم أسباب هذا التحول هو أن اللغة الأردية في ذلك العصر قد تطورت و نالت مكانة بارزة مقارنة باللغة الفارسية التي تجاهلها الإنجليز و قرروا تشجيع اللغة الاردية كلغة رسمية - بدلا منها رغم أن الخواص و العوام كانوا يفهمون الفارسية، و السبب التالي لقلة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الادب الأردي في هذه الفترة هو أن كثيرا من الرحالة الذين زاروا شبه الجزيرة العربية لذلك لم تكن لديهم المقدرة و لا البراعة الكاملة لبيان هذه الرحلة و تدوينها فكانت كلماتهم عاجزة عن وصف مشاعرهم تجاه هذه الأراضي المقدسة "ماذا رأى" و "ماذا وجد" فوجدنا قلة قليلة من الرحالة هم اللذين دونوا رحلته و مشاهدتهم عن شبه الجزيرة العربية و خاصة مكة و المدينة و جدة و على هذا لم تتجاوز الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي في ذلك العصر عن مائتي رحلة. (١٧)

و بعد هذه الرحلات الأولية التي لم تكن وصلت إلى مرحلة النضج الفني، تبدا المرحلة الثانية من الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية و التي تتسم بالنضج و المعلومات الهامة عن شبه الجزيرة العربية و كانت هذه المرحلة نتيجة للصحوة الإسلامية في الهند حيث ظهر بين مسلمي الهند حركات و اتجاهات تعتبر أن الإسلام هو الروح الأصلية للحياة نتيجة للحركات العلمية و النهضة الفكرية التي تزعمها السيد أحمد خان و في تلك الحقبة تضاعفت الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية و الدول الإسلامية الأخرى و تعلق قلب الرحالة الهنود بالرحلة إلى شبه الجزيرة العربية و زيارة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينة المنورة و ذلك بحب عميق و عقيدة راسخة و هذا في مجمله كان له تأثير عميق في تطور فن الرحلة إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي و ظهرت رحلات هامة و قيمة و مؤثرة ذات إحساس عميق بمشاهدات الرحالة في شبه الجزيرة العربية و زاد عدد الرحلات إليها عن مائة رحلة حيث تسابق الرحالة في السفر إلى هذه البلاد المقدسة و تدوين رحلاتهم و الطرق التي سلكوها و المشاكل التي واجهتهم و لهذا فان هذه الرحلات مليئة بالمعلومات الهامة عن تاريخ و جغرافية شبه الجزيرة العربية في تلك الحقبة و من الرحلات الجديرة بالذكر هنا رحلة كل من الياس برني و رحيم بخش و محمد حبيب الرحمان و عنايت الله مشرقي و عبد الصمد صارم و القاضي محمد و عبد الحميد خان و منظور علي و القاضي محمد سليمان خان و غيرهم

و مما يؤخذ على كتب الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي أن هذه الرحلات كتبت في المقام الأول لإرشاد الحجاج و الزائرين أثناء إقامتهم في مكة المكرمة و المدينة المنورة حيث قام عدد كبير من الرحالة العظام من شبه القارة الهندية الباكستانية بالرحلة إلى شبه

الجزيرة العربية و دونوا رحلاتهم فصارت قطعاً أدبية نادرة في الأدب الأردي تتميز هذه الرحلات بأنها تحتوي على معلومات علمية جافة في لغة جلدة تفتقر إلى الإحساس الأدبي (١٨)

و في القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي حدث تطور نوعي و كمي في الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي حيث اهتم الأدباء و المصلحون و المفكرون بالرحلة إلى شبه الجزيرة العربية و لهذا لم تكن رحلاتهم مجرد سفر أو رحلة في الحدود الجغرافية فحسب بل ركزوا جل اهتمامهم على التاريخ الماضي لتلك الفترة الزمنية و قارنوا الماضي بحاضرهم و احتوت رحلاتهم لشبه الجزيرة العربية على تحليل و وصف دقيق لما شاهدوه و اهتموا بالجوانب السياسية و الحضارية و الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية و من أهم الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في ذلك العصر "سفر نامه حجاز" لعبد الرؤوف رحماني و "زيارت حرمين" لسيد حسين و "سفرنامه حجاز" لرفيع الدين مراد آبادي و "أرض حرم تك" لحكيم شكيل أحمد شمس، و"سفر حجاز" لـ سارق علوي و "سفرنامه حجاز" لظفر أحمد عثمان و "سفر حرمين شريفين" لخان بهادر الحاج عبد الرحيم و "سفرنامه حرمين شريفين" لحكيم محي الدين، و"سفرنامه حجاز" لخطيب قادر بادشاه، و "سفر حجاز" لعبد الماجد دريا بادي و "ابني كهر سي بيت الله تك" لمولانا أبو الحسن علي الندوي في الهند و "سفرنامه حجاز" لسيد أمين حسين و "سفر حجاز" لسراج الدين أحمد و "سفر حجاز" لمولانا غلام رسول مهر و "زيارة الحرمين" لعاشق إلهي

و أهم ما يميز كتب الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة هو الاهتمام بتفاصيل مناسك الحج و الأحكام الخاصة به و وصف الأماكن المقدسة و الاستعانة بالصور الفوتوغرافية لبيان هذه الأماكن و معلومات تفصيلية عن الطرق و وسائل السفر و بيان السنة الواجبة مع كل مكان

و الادعية الخاصة به و كان الرحالة يكتبون الرحلة على طريقة السيرة الذاتية و كانوا يتبعون من الناحية الفنية اسلوب المذكرات اليومية و لهذا كان القارى لهذه الرحلات يقرأها بنهم و شوق لما تحويها من معلومات قيمة و مستفيضة عن شبه الجزيرة العربية و على هذا فان هذه الرحلات تعد إضافة هامة في تاريخ الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية و من اهم الرحلات في تلك الفترة "شب جاى كه من بودم" لشورش كاشميرى، "لبيك" ممتاز مفتي "روداد سفر حجاز" دكتور نصير احمد ناصر، "ارض تمنا" غلام الثقلين نقوى، "سفرنامه" محمد طفيل، "بهر سوى حرم" صادق قريشي، و "حديث دل" لعبد الله ملك حيث نجد ان هؤلاء الرحالة الهنود و الباكستانيين كان لديهم في تلك الفترة احساس دقيق بالتاريخ و الجغرافيا و صارت الرحلات الحجازية جزءا هاما من التاريخ الإسلامي (١٩)

لقد ركزت الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث على النواحي الروحية و وصف التجربة الشعرية الفريدة لهؤلاء الرحالة في هذا السفر المقدس و تطورت الرحلات الى شبه الجزيرة العربية من الناحية الفنية و قام بهذه الرحلات العلماء و المشايخ و الادباء و الشعراء و كتاب القصة و الرواية و النثر و المؤرخين و المصلحين و حدث طفرة هائلة في أساليب اللغة الاردية التي كتب بها هذه الرحلات مثل رحلة "رهنماى سفر" للدكتور محمد نوار فاروقى ١٩٩٤م و "منزل سعادت" حافظ لدهيانوى ١٩٧٤م و كذلك رحلة اشفاق نقوى "رياض كى سير" اى (نزهة في الرياض) تحدث فيها عن تاريخ إنشاء مدينة الرياض و فصل القول في طرقها و مبانيها و عادات أهلها و تعد وثيقة أدبية هامة للرياض حيث قام بوصف دقيق للقصور الملكية و تحدث عن مؤسسها الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله يقول اشفاق نقوى واصفا شوارع الرياض و مطاعمها "عدنا من زيارة القصور الملكية و بالقرب منها يلتقي شارع الناصرية مع شارع الوشم يبدو على الجانب الأيمن شارع كبير و من خصائص

هذا الشارع إنه يغص بمحلات بيع عصير الفواكه الطازجة و الشاورما و خبز رقيق يقولون عليه اسم "سموش" حيث يقومون بوضع شرائح اللحم الرقيق (الشاورما) بين طياته مع إضافة الطماطم و السلاطة ثم يغلفونها بورق فاخر و يسلمونها لك هذا منظر ريال واحد!! (٢)

و من الناحية المكانية فقد كتبت كتب رحلات إلى شبه الجزيرة العربية في باكستان أكثر من الهند.

و نترك الرحلات الحقيقية الآن لنرى هذه الظاهرة الفريدة في الأدب الأردي لرحلة خيالية قام بها في الخيال أو تخيلها الشاعر الكبير محمد إقبال، فبرغم أن إقبال كان يتغنى دائماً بالجزيرة العربية حيث لا يخلو ديوان من دواوينه إلا أشار إليها سواء كانت هذه الإشارة مباشرة أو غير مباشرة أي رمزية إلا أنه لم يزر الجزيرة العربية في الواقع و لهذا يتخيل أنه قام بهذه الرحلة و يتحدث عن كل خطواتها في خياله فيتغنى بجمال الصحراء و يصف القوافل و السوق و يتضح ذلك جلياً في ديوانه "ارمغان حجاز" أي هدية الحجاز و يوجه إقبال حديثه إلى أهل الجزيرة العربية تحت عنوان "يا ابن الصحراء" فيقول

حين هبط النور على الصحراء في الأسحار

غرد طائر على غصن النخيل

اقلع خيمتك و ارحل يا ابن الصحراء

فلا حياة دون تذوق الرحيل

جعل الله العرب أدلاء للقوافل و امتحنهم بفقرهم

لو أن فقر الفقراء ذو حمية

فمن الممكن أن يقلب الدنيا رأسا على عقب (٣٦)

ثم يقول: اكتست صحراء العرب بفضل هذا النبي الأمي حلة أنيقة

و انبتت زهرة يانعة

إن عاطفة الحرية نشأت في ظل هذا النبي

و ترعرعت و نمت في حجره

و هكذا كان يوم هذا العالم المعاصر مدينا لأمسه (٢٢)

لقد تحدث الشاعر محمد إقبال في رحلته الخيالية هذه إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم بما شاء قلبه و حبه و اخلاصه و وفاءه و تحدث إليه عن نفسه و عن عصره و عن أمته و عن مجتمعه و قد فاضت في هذا الحديث قريحة الشاعر، و انفجرت المعاني و الحقائق التي كان الشاعر ينالها و يسعد محمد إقبال بالمثول بين يدي الرسول فيصلي و يسلم عليه بما يفتح الله به عليه، و ينتهز الفرصة، فيحدثه عن نفسه، و بلاده، و الفترة التي يعيش فيها و عن أمته يقول "لقد توجهت إلى المدينة رغم شيبي و كبر سني، أغني و أنشد الأبيات في سرور و حنين و لا عجب فإن الطائر يطير في الصحراء طول نهاره فإذا أدبر النهار و أقبل الليل رفرف بجناحيه و قصد و كره ليأوي إليه و يبيت فيه" بدأ محمد إقبال سفره، و هو شيخ مريض و سارت به الناقة بين مكة و المدينة سيراً حثيثاً، و قد قال لها "رويدك يا حبيبتي فإن راكبك لا غب و مريض، و كبير السن فمشت في نشوة و طرب و لم تنال كأن الصحراء حرير تحت أرجلها" (٢٣) و يختم إقبال قصيدته بأبيات يوجهها الى المرحوم الملك عبد العزيز ابن سعود بإعتباره ملك الحجاز في عهده يقول "اضرب خيمتك حيث شئت في الصحراء و لتكن خيمتك قائمة على عهدك و إطنابك و لا تنسى أن استعارة الإطناب من الأجانب حرام" (٢٤)

قراءة في رحلة سلطان جهان بيجم لشبه الجزيرة العربية عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م

قامت سلطان جهان بيجم أميرة إمارة بهوبال في الهند برحلة إلى شبه الجزيرة العربية و أرض الحجاز و الحرمين الشريفين و ألفت كتابا شيقاً

عن هذه الرحلة و عن الصعاب و الخطوب التي كان الحاج يمر بها منذ قرن من الزمان حيث كان يسافر المسافر و قلبه يخفق من المخاطر المحدقة به و في هذا عبرة للحجاج الذين يسافرون للحج هذه الايام بيسر و سهولة و بيان للكم الهائل من التحسينات التي قامت بها الأسرة السعودية المالكة منذ الملك عبد العزيز مؤسس المملكة و باني الدولة الحديثة و حتى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود و هي طفرة هائلة من حيث الكم و الكيف و لا تخطاها عين إلى جانب الأمن و الأمان الذي يشعر بهما من يزور شبه الجزيرة العربية و قد تولت الاميرة سلطان جهان بيجم إمارة بهوبال في ١٦ يونيو ١٩٠١م و هي إمارة اسلامية في الهند كانت تحكم بموافقة حكومة الهند المركزية من قبل الإنجليز الذين كانوا يحكمون الهند في ذلك الوقت و قد تولت الاميرة سلطان جهان بيجم الحكم خلفا لوالدتها الاميرة شاهجهان بيجم تقول في كتابها "جوهر إقبال" كنت لتحرق شوقا للحج و لزيارة روضة الرسول صلى الله عليه و سلم" (٢٥)

و طلبت الاميرة سلطان جهان بيجم الإذن من الحكومة الإنجليزية للسفر للحج و طلبت منها مرافق للسفر معها إلى ينبع و جدة و المدينة المنورة و مكة المكرمة و لن يتم استثناءها من إجراءات الحجر الصحي الطويلة حيث كانت تجري للمسافرين الهنود مرتين الأولى في ميناء المغادرة و هو بومباي و الثاني في ميناء قامران طبقا لمعاهدة الأمم المتحدة الخاصة بالصحة و كذلك طلبت من الحكومة التركية التي كانت تحكم الحجاز لذاك أن تسمح لها باصطحاب حرس و جنود مسلحين معها و لكن الباب العالي لم يسمح بذلك و وعدها بحراستها بجنوده

و بالمقابل فإنه قبل سفر الاميرة عينت الحكومة الإنجليزية الميجور ر- س ميكوورات موظف شئون الصحة الهندية ليرافقها في سفرها للحج و لخبرتها الحكومة التركية انها تستطيع أن تصطحب الحرس الخاص بها

و لكن عليهم أن يتركوا الأسلحة في السفينة و على الأميرة أن تكتب للحكومة التركية خطاباً تذكر فيه أن شرطتها تدخل بدون أسلحة و أنهم كلهم مسلمون

فكتبت الأميرة رسالة إلى الميجور المسئول عن حراستها من قبل الحكومة التركية "أنا أطمئنك أن جنودي غير مسلحين إلّا بعض مسئولي الإمارة الكبار يحملون أسلحة خفيفة و هي ضرورية لهم لأنها حلية الرجال" (٣٦)

و بالنسبة للحجر الصحي فقد تم توقيع الكشف الطبي على الأميرة في بهوبال بدلا من بومباي و بور سعيد بدلا من قامران

و استأجرت الأميرة باخرة كبيرة و كان معها ثلاثمائة مسافر و أربعون فرساً و قامت الأميرة بعد أن تمت هذه المراحل بمراسلة بعض الشخصيات المهمة في الحجاز حتى يسهلوا إجراءات السفر و الإقامة حتى لا تتعب و أرسلت لهم الأميرة الهدايا مع رسلها الذين أوفدتهم قبل سفرها و هم المولوي ذو الفقار أحمد النقوي و المولوي أعظم حسين و أحمد شكري أفندي و كانوا موظفين بالإمارة فأرسلتهم إلى السادة الآتي ذكرهم

١ ـ السيد شريف عون الرفيق باشا أمير مكة، و كانت له علاقات ممتازه مع إمارة بهوبال منذ عهد الأميرة اسكندر جهان بيجم

٢ ـ السيد دولتلو أحمد راتب باشا حاكم الحجاز، و كان قبل تعيينه حاكماً زار بهوبال و استمرت علاقته بالإمارة

٣ ـ السيد عثمان باشا شيخ الحرم المكي

٤ ـ السيد حسن مظفر شاه حاكم المدينة المنورة

و كانت الأميرة قد كتبت إليهم الرسائل و أرسلت التحف و الهدايا لكل من أمير مكة و حاكمها و شيخ الحرم المكي و حاكم المدينة المنورة

و تحركت الباخرة "اكبر" التي استاجرتها الأميرة من بومباي في يوم الجمعة ٣ اكتوبر ١٩٠٣م و رست الباخرة في ميناء عدن في الساعة الحادية عشر ليلا في السابع من نوفمبر ١٩٠٣م فسلم قبطان السفينة برقية من السيد ديوى قنصل جدة يخبره فيها بان تصل باخرة سمو الأميرة سلطان جهان إلى جدة مباشرة و لا تتوقف في قامران

و في ١٢ نوفمبر ١٩٠٣م رست الباخرة بميناء بورسعيد للحجر الصحي و أعفت سلطات الميناء الأميرة من هذه الإجراءات، و حسب البرنامج المقرر أرسلت الأميرة خمسين شخصاً تحت رئاسة الحافظ عبد الرحمن الى مكة المكرمة و أودعوا خمسة آلاف روبية هندية أمانة لدى القنصلية البريطانية

و كانت سمو الأميرة تريد التوجه أولا إلى المدينة المنورة و من ثم إلى مكة المكرمة و بقى على حلول رمضان المبارك يومان فقط فلما حضر القنصل و نائبه لزيارة سموها أخبرتهما أنها تريد أن تقضي معظم رمضان بالمدينة المنورة و لذلك أريد أن أصل إلى جدة بسرعة فأخبرها القنصل أن السيد شريف أحمد بن منصور وجه إليك الدعوة لكي تحضري إلى مكة المكرمة أولا و أرسل لها محملاً لركوبها و أربعة لحراستها و لكن الأميرة قالت أنها أرادت الذهاب إلى المدينة المنورة أولا حسب برنامجها و ردت المحمل و احتفظت بالحراس

و حضر إليها بعض العسكريين و السيد علي يمني القائم بأعمال المحاكم بجدة و المسئول الطبي على السفينة للسلام عليها و أخبروها أن السلطان المعظم مهتم بها و بحراستها و أمر بارسال مدفعين و سبعمائة جندي تركي معها

و في اليوم الثاني ركب أحمد أفندي و سليمان أغا باخرتها مع خمس و عشرين مسئولا و مائة و أربعة و تسعين جنديا و الأشراف الأربعة المرسلين من قبل السيد شريف مكة مع خمسة عشر شخصا

و غادرت الباخرة ميناء جدة يوم الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٣٢هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩١٣م و بعد أربع و عشرين ساعة كاملة رست الباخرة في ينبع و اصطف المسئولون الأتراك لما رأوا الباخرة و جمعوا العساكر و قدموا اليها السلام الرسمي على الميناء و أطلقت المدفعية ٢١ طلقة و كان على رأس المستقبلين لها مصطفى افندي القائم بأعمال ينبع و اجتمع كثير من أهل ينبع لاستقبالها و كان أول يوم من رمضان فلم تصم و كانت مسافرة فجاز عليها الإفطار

ثم إستاجرت الأميرة بيتاً قرب الساحل بستمائة روبية فاقامت فيه و ارسل لها مصطفى فرحت باشا مياه المدينة المنورة و رمانها و تمورها (٣٧)

الطريق إلى المدينة المنورة

و في السابع من رمضان المبارك غادرت قافلة الأميرة الى المدينة المنورة في الساعة الثانية عشرة ظهراً على الإبل فقد استأجرت مائتا إبل و حضر الجنود من جدة معها، و انضم إليهم بعض الجنود من هنا أيضا و كان عدد الجنود الأتراك أربعمائة إلى جانب المدفعية

ثم وصلت الأميرة إلى محصلي في الساعة الرابعة فاقامت بها و كانت صائمة و كانت محصلي تقع على جبل شاهق و كان ماءها أحمر

و في اليوم الثامن غادرت قافلة الأميرة في الساعة السابعة صباحا الى بئر سعيد و كانت الأرض سهلة يسهل المشي عليها و لم تكن أرضا جبلية ذات حجارة صلدة مثل محصلي.

و في هذا المكان حدث ان ذهب ابنها الأمير عبد الله خان مع خيله للنزهة فلقيه في الطريق ثلاثة بدو و بعد التحية قدموا إليه خبزاً و بصلا و جبنا فتقبل الأمير منهم ذلك مشكورا و كان من عادة العرب انه إذا لم يستحب احد لدعوتهم يعتبرون ذلك مهانة لهم، فتقبل منهم شيئاً، قال البدو لثناء الطعام "الله لطيف بعباده" فقرأ الأمير "يرزق من يشاء و هو القوى العزيز" فسألوه هل انت حافظ قال نعم فلما همّ بالرجوع قدموا إليه هدية من تمر

و غادرت الأميرة بئر سعيد في ٩ من رمضان و كان الطريق جبلياً و عراً ملتوياً و مررنا بحديقة التمر المثمرة عند العصر و كان بها بئرا حلوا و توقفت القافلة عند المغرب في "عين الحمراء" و كانت أرضاً سهلة صغيرة حولها الجبال و كانت بها حدائق التمر و مسجد قديم و نهر صغير و كان عدد السكان قليلا و كانت الأميرة تريد أن تقيم بها ليوم واحد لأن أرضها كانت خضراء و هواءها معتدل و لكن حدث أن سمعوا طلقات البنادق في الساعة الثامنة و أرسل شيخ البدو رسالة إلى مرافقي الأميرة السيد شريف أحمد بن منصور و السيد أبو جود المدني يقول فيها "أن كنتم من قبيلة كلب على خان فاعلموا أنهم وعدوا بإعطاء خمسمائة روبية بعد مرورهم من هنا سالمين و لكنهم بعد رجوعهم أخلفوا الوعد فادفعوا هذا المبلغ و أكدوا الوعد لإعطائه مستقبلا و أن كنتم من قبيلة أخرى فأرسلوا مبلغاً مناسبا و إلا فنحن مقيمون في ممر حديقة و لا نترك قافلتكم تمر بدون قتال" فاستشارت الأميرة مرافقيها و قرروا أن يغادروا "عين الحمراء" دون الإقامة فيها و في العاشر من رمضان المبارك غادرت القافلة في الساعة السابعة صباحا من عين الحمراء في طريقها إلى بئر عباس و في الطريق وصلت قافلتها إلى "خيف" و كانت قرية بها المنازل ذات الأدوار المختلفة و كانت سوقاً كبيرة للشعير

و وصلت القافلة إلى بئر عباس عند المغرب و أقامت بميدان رملي واسع و كانت بها قلعة قرب البئر العميقة و بها ثكنة للجيش التركي و عدده خمسون جندياً و كانت الأميرة تريد الاقامة بالقلعة و لكن الجيش أشار عليها بالاقامة خارجها في الميدان لأن البدو إذا نزلوا و حاصروا القلعة و أغلق الباب فستكون مشكلة و قبلت الأميرة هذا الراي المناسب و أقامت في الميدان

و غادرت القافلة في صباح ١١ رمضان من بئر عباس إلى المدينة المنورة (٢٨)

استقبال الاميرة سلطان جهان في المدينة المنورة

و علم الأمير عبيد الله خان عن طريق مسئول الجيش التركي ان بعض مسئولي الجيش و الجنود و المدفعية حضروا لاستقبال سموها فذهب الامير و الميجور كريم بك و الكابتن محمد حسين خان للقاءهم و اصطف الجنود لاستقبالها

و في قرية "بئر عروة" جاء القاضي و المفتي و غيرهم للقاء الاميرة في حراسة مشددة و علمت الأميرة أن المكان كان قريبا من الروافض

و في ١٣ رمضان ١٣٢١هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٠٣م جاء ختن شيخ الحرم للقاء الأميرة في الثامنة صباحا، و تم الحديث بينهما عن طريق المترجم السيد ياسين و قال ان شيخ الحرم فرح بمجيئك فشكرته الأميرة و قال ختن الشيخ ان شيخ الحرم يخبرك أن السيد شريف قرر أقامتك عند السيد صافي و هو مغضوب عليه عند السلطان، فلا تقيمين عنده و لو اقمت هناك سوف اعتذر عن الحضور معك فقالت الأميرة إنني ضيف عليكما و قصدي زيارة المسجد النبوي فاقيم اولا في بيت جهزه لي السيد شريف و إن كان بعيداً من الحرم و ان كانت هناك مشقه في الإتيان إليه سوف انتقل إلى بيتك الذي رتبت لي

و بعد لقاء الأميرة بختن شيخ الحرم غير الركب ألوانه و وضعت الشالات على الإبل و توجهوا إلى المدينة المنورة و كلهم شوق و كان الناس يأتون في الطريق لإستقبال القافلة و الأتراك اجتمعوا حول القافلة و معهم الطبول و دخل الركب المدينة المنورة و تمت مراسم الاستقبال عند باب العنبرية في الساعة الحادية عشرة

و كان خارج الباب حاكم المدينة حسن مظفر باشا و مالك خزانة الحرم الشريف و هما من أهم مستقبليها و اصطف الجنود و قدموا اليها التحية و انطلقت المدفعية احدى و عشرين طلقة و كانت القافلة تمتد لميل واحد

و الجيش الذي حضر للاستقبال كان فيه مسئولان كبيران و ستة من المسئولين الصغار و مائة و خمسون جندياً

و أقامت القافلة في "بئر درويش" بعد العشاء، و في ١٢ من رمضان المبارك سنة ١٣٣٦هـ غادرت تحت حراسة مشددة في الصباح الباكر و كان الطريق لين و إن كانت تلال كثيرة في الطريق، و لما وصلت القافلة بئر علي لثار المدينة المنورة صعد أهلها إلى الجبال لشدة الشوق و كان الجو روحانياً و كانوا يرددون الصلاة و السلام على الرسول صلى الله عليه و سلم و يدل ذلك على حقيقة مشاعرهم و كتبت الأميرة في مذكراتها عن الرحلة فقالت "كنا نشم رائحة ذكية في هذا الميدان تعطر أدمغتنا و لما تقدمت القافلة ظهرت لثار المدينة المنورة بوضوح و أكثر أصحاب الركب ترجلوا احتراماً، و في الطريق كانت تمر قرى صغيرة في بعضها مسجد مشيد و أقامت القافلة عند "بئر عروة" في الساعة التاسعة ليلاً و كان هذا المكان يبعد عن المدينة بميلين، و ذهب الأمير عبيد الله خان إلى المسجد النبوي لتحيته في العاشرة ليلاً و نزلت الأميرة في خيمة نصبت خصيصاً لها و قابلت فيها مشايخ المدينة و دخلت الأميرة المدينة و كان على باب المسجد النبوي عثمان باشا و شيخ الحرم و قاضيها و مفتيها و غيرهم من المسئولين الكبار لاستقبالها، و سلمت على الرسول صلى الله عليه و سلم من بعيد و نوت أن تزور القبر الشريف في وقت آخر ثم وصلت إلى بيت السيد صافي للقيام به.

و تقدم الأمير عبيد الله خان بإيعاز من الأميرة بطلب إلى شيخ الحرم للدخول هو و الأميرة الى الروضة المقدسة، فأخبره شيخ الحرم أن دخول النساء غير ممكن و لكنك تقدر بشرط لباسك العباءة و العمامة البيضاء مع القلنسوة التركية و كان ذلك لباس الدخول بالروضة المطهرة و في ١٥ من رمضان المبارك دخل الأمير عبيد الله خان و الميرزا كريم بك و الكابتن محمد حسن خان في

الروضة النبوية و قرءوا الفاتحة و أوقدوا الشموع و قدم لهم خدام الروضة الأشياء التي تعقد فيها البركة و ماء الورد الذي يغسل به القبر الشريف

و لما كان بيت السيد صافي بعيداً عن الحرم و كان هدف الأميرة بالمدينة المنورة هو حضورها إلى الحرم الشريف فانتقلت الى بيت آخر قرب الباب المجيدي في ١٥ رمضان المبارك فأخذت تحضر معظم الأوقات في المسجد النبوي و قد رتب لها شيخ الحرم أن تكون بمفردها عندما تحضر بعد العشاء فكانت تحضر كل يوم بعد العشاء و عندما حضرت للمرة الأولى استقبلها على الباب شيخ الحرم و القاضي و المفتي، و قد وجهت للأميرة الدعوة لحضور الحفلات التي أقام لها وجوه المدينة المنورة و على رأسهم علي زاهر الوتري و السيد صافي و شيخ الحرم

و طلب الأمير نصر الله خان ولي عهد الإمارة من أمه الأميرة أن تشتري له خيولا عربية أصلية فاشترت له الأميرة اثنى عشر من الخيل النجدية من الشيخ عبد العزيز بن رشيد النجدي

الطريق الى مكة المكرمة

كانت الأميرة تنوي الذهاب إلى مكة المكرمة من نفس الطريق التي جاءت منه و لكن الأخبار وصلتها بأن البدو يريدون الوقوف في وجه قافلتها فنصحها شيخ الحرم أن تسافر إلى مكة المكرمة عن طريق البر مع القافلة الشامية، و لا يكون خطر البدو، فقبلت مشورته

و طلبت من القنصل البريطاني أن يبرق الى حضرة السلطان المعظم بأنها وصلت إلى المدينة المنورة بخير في رعاية العسكر السلطانية و استقبلها شيخ الحرم و محافظ باشا استقبالاً حافلاً فاشكرهم على ذلك و لكن لخطر البدو في الطريق أريد الذهاب إلى مكة المكرمة مع القافلة الشامية في الحراسة الحكومية

و فـي ٦ ديسمبر ٩٣ م رد المصل لبريطاني مستر ديوي على لامره مان سـفـر لإمبراطور ابو رد الساله لدى لقسطنطينيه ابرق لى لسلطان المعظم بوصـول تـحـبـر لى المدينه المنوره و ان السلطان المعظم ابرق الى محافظ المحمل الشريف لسيد عبد لرحمن باشا و مسئول القافله لشاميه باصطحاب سمو الاميره الى مكه المكرمه في حر س مشدده

و فـي هنا الاستعدد للسفر لى مكه المكرمه انتهى شهر رمضان المبارك وحل لعـيـد و صلى لقاضي بالناس صلاه العيد في لشاميه و حضرها الأمرا و الرجـال الـحر فـمـن لـلاميره و لم تحضر الاميره و النسوه لصلاه للا دحام و بعد لـصـلاه حـضـر لـى لامـيـره كل من المفتي لحنفي و المفتي لشافعي و شـيـخ الـحـرم مع فمن للمرحوم لسيد ياسين للما ها و باركتها بالعيد و قدم لـمـفـتـي لـشـافـعـي قصيده كالعاده فيها المديح لنبوي و قدمت لهم الحلوى و الشاي و القهوه و بعث لامير ب عبيد لله خان و حميد لله خان الى شيخ لـحرم و قدم لهما الشاي و لقهوه و لعصير التركي و جا ب زوجتا شيخ الحرم و لحاكم و بناتهما للقائها في بيتها

و فـاضـت الاميره عن طريق حاكم المدينه السيد حسن مظفر باشا بتوزيع لعي ويته على لجنود و الضابط الاتراك

و في تلك لاثنا عينت لاميره محمد جماد مطوفا لحجاج بهوبال فجا ها سـخـص حـر يحمل رساله من شريف مكه يشفع له فيها ان يعين مطوفا و كان اسمه يا الجود فعينته الاميره على بلاتس رويته خوفا من غضب شريف مكه

و عـنـدمـا تـقـرر ب سـفـر الاميره مع القافله لشاميه فكرت في ترتيب الـسـفـر و همها لإبل و علمت بها د لم تحصل عليها مسبقا فستكون مشكله و لا يـمـكن لـسـفر مع القافله الشاميه فراسلت حاكم المدينه بهذا لخصوص و تكلمت مع شيخ لحرم فابرق الشيخ لى الامير عبد لرحمن باشا امير القافله

الشامية أن يأتي بخمسين جملاً تكون قيمة كل منهما مائة و خمسين روبية (٣٩)

و في ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٣٢١هـ وصلت القافلة الشامية إلى المدينة المنورة و كانت تاتي بكسوة الكعبة و كان يقال لها المحمل الشريف و كان يوضع في صندوق كبير يحمل على جمل قوى الهيكل، و جمل آخر مرافق له عليه الشارة الحكومية و يقال لها البيرق و وصلت القافلة مع مرافقيها إلى المدينة و وصلوا إلى الحرم النبوي عند باب السلام في الحادية عشرة على دقات الطبول و كان عند الباب مكان مرتفع لنيخ الجمل عليه و لنحل الصندوق الى المسجد النبوي و بقي المحمل في المسجد النبوي بالمدينة طوال اقامة القافلة بها

و قبل مغادرة الاميرة المدينة المنورة أقام حاكمها مائدة كبيرة لها و في ٢٧ من ذي القعدة ١٣٢١هـ الموافق ١٣ فبراير ٤ ١٩م أحرمت الاميرة و أصحابها و ألقوا السلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم و خرجوا بعد العصر من المدينة المنورة مع القافلة الشامية، و مرت من طريق "تبريز" ثم أقامت في "بئر علي" و في يوم ٢٨ من ذي القعدة غادرت القافلة إلى مكة المكرمة و كانت هناك مخاطر في طريق ينبع و المدينة المنورة إلا أن الأمير عبد الرحمن باشا نجح بالوصول بها الى مكة في أمان

و في ٦ من ذي الحجة الموافق ٢٣ من فبراير ٤ ١٩م دخلت قافلة الاميرة إلى مكة المكرمة و جاء حاكم الحجاز أحمد راتب باشا و شريف مكة عون الرفيق باشا مع جماعة من الجنود الاتراك لإستقبالها، و قدم إليها السلام العسكري و مظاهر التكريم الاخرى و اصطحبها إلى مقر اقامتها في بيت الأستاذ أحمد لاو

و أرسلت ابنيها الاميرين إلى بيت حاكم الحجاز و أمير مكة للقاءهما، و في أثناء اقامة الاميرة في مكة المكرمة زارها السيد شريف و عبد الرحمن

باشا حاكم دمشق و احمد راتب باشا حاكم الحجاز و الشيخ محمد صالح الشيبي و السيد علي باشا و باشا المصري مع زوجاتهم (٣)

ثم ذهبت الاميرة إلى الحرم الشريف لطواف القدوم و السعي لأداء مناسك الحج و ذهبت إلى عرفات في الثامن من ذي الحجة و حجت يوم التاسع من ذي الحجة ثم رجعت إلى مكة المكرمة في ١٢ من ذي الحجة بعد تأدية مناسك مزدلفة و منى.

و لم يقبل حاكم مكة اجرة البيت التي اقامت فيها و قال لها: ان اخذ إي فلس كاجرة للبيت يكون عارا للسلطة العثمانية

و في ٢٢ من ذي الحجة الموافق ١ مارس ٤ ١٩م غادرت الأميرة و قافلتها مكة الى جدة و رتب حاكم الحجاز احمد راتب باشا للأميرة الإقامة في بيت في "بحيرا" و كان مريحا تقول عنه الاميرة "في الرجوع من مكة تملكنها التعب و النصب و استرحنا في هذا البيت الذي لم يكن اقل بحال من الاحوال عن "صدر منزل" "اي قصر الاميرة في بهو بال" (٣١)

و في ٢٣ من ذي الحجة الموافق ١١ من مارس ٤ ١٩م دخلت الأميرة جدة و كانت الباخرة "اكبر" راسية على الميناء في انتظارها فركبت الباخرة هي و ابناءها و في ٢٥ من ذي الحجة الموافق ١٣ مارس ٤ ١٩م يوم الاحد بعد العصر غادرت الباخرة "اكبر" جدة و كان في وداع الاميرة القنصل البريطاني في جدة و نائب القنصل الدكتور محمد حسين و السيد جي بي ديوى و وصلت الباخرة إلى عدن في ١٧ من مارس ثم غادرتها إلى بومباى التي و صلت إليها في ٧ محرم ١٣٢٢هـ الموافق ٢٥ مارس ٤ ١٩م (٣٢)

رحلة مولانا عبد الماجد دريا بادي إلى الحجاز

الرحالة ولد مولانا عبد الماجد دريا بادى الهندي في قرية دريا باد من اعمال لكهنو بالهند في ١٦ شعبان ١٣١٠هـ الموافق ١٦ مارس ١٨٩٢م و في الخامسة

من عمره بدأ تعليمه الأولي على يد مولوي صاحب و بدأ حفظ القرآن و ختمه و هو في التاسعة من عمره و تعلم الفارسية و الإنجليزية و دخل كلية كينغ لكهنو و درس الفلسفة و في ١٩١٢م حصل على الليسانس و هو في الواحد و العشرين من عمره و كتب عدة كتب في الفلسفة و مقارنة الأديان و في عام ١٩٢٤م قام بإصدار جريدة أسبوعية "سچ" أي الصدق لكي ينشر فيها أفكاره الإصلاحية في السياسة و الاجتماع و الدين و صدر العدد الأول منها في ١٩٢٥م و صار رئيسا للتحرير في أغسطس ١٩٢٥م (٣٣)

يقول عبد الماجد دريا بادي "و في عام ١٩٢٩م و عندما كان عمري سبع و ثلاثين سنة قمت بزيارة بيت الله ثم قمت بترجمة القرآن الكريم إلى الإنجليزية و تركت جريدة "سچ" و قمت بالاعداد لإصدار جريدة أخرى و اقترحت لها اسم "صدق" و صدر العدد الأول منها في مايو ١٩٣٥م" (٣٤)

و توفي مولانا عبد الماجد في نهاية ديسمبر عام ١٩٧٦م و صعدت روحه إلى السماء بعد فترة من المرض و كان مولانا عبد الماجد دريابادي أديبا فذا و شخصية لها جوانب ثرية و متعددة فهو صاحب أسلوب مميز به في الأدب الأردي و صحفي بارع و له مقالات عديدة و صاحب نظرية نقدية و مفسر للقرآن الكريم و رحالة من الطراز الأول و من أوائل الرحالة في شبه القارة الهندية الذين رحلوا إلى شبه الجزيرة العربية و دون رحلة علمية من أهم الرحلات في الأدب الأردي و هو علاوة على هذا فقيه و محدث و مفكر و رجل سياسة و له مؤلفات عديدة في الفلسفة و ترجم العديد من الكتب. (٣٥)

الرحلة إلى الحجاز

في عام ١٩٢٩م قام مولانا عبد الماجد دريابادي الهندي برحلة إلى شبه الجزيرة العربية لدى فيها فريضة الحج و زار الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينة المنورة و نشر رحلته الممتعة هذه أولا في مجلته الأسبوعية

"صدق" على حلقات ثم طبعها في كتاب لاقى انتشاراً و قبولاً بين مسلمي الهند و باكستان و صدرت منه ثلاث طبعات

و قد عبر عبد الماجد بصدق في رحلته هذه عن انطباعاته عن الأماكن التي زارها في شبه الجزيرة العربية و بصفة خاصة جدة و المدينة المنورة و مكة المكرمة و حوت رحلته على معلومات هائلة في تاريخ و جغرافية شبه الجزيرة العربية كما أنها تعد قطعة أدبية من روائع الأدب العالمي و مليئة بالمشاعر و العواطف الفياضة إلى جانب المسائل الفقهية.

يقول في مقدمة رحلته "سفر حجاز" أي الرحلة إلى الحجاز إن التجليات الربانية هي التي تتجلى حتى اليوم في الكعبة و أنوار الرسالة في المدينة كما أن هوى الشوق في قلوب أفراد الأمة كما هو فمن ذا الذي يستطيع أن يمحو هذه التأثيرات و النقوش (٣٦)

و في بداية رحلته إلى شبه الجزيرة العربية يتناول عبد الماجد دريابادي وسيلة السفر بالوصف و نلاحظ هنا دقته المعهودة في ذكر الأحداث و الأوقات يقول "و هذه الباخرة هي "اكبر" التي لا تصارعها باخرة أخرى و قد تم تصميمها عام ١٩٢٤م و تعد في درجة متوسطة بين بواخر الشركة و تزن ٤٣ ٤ طن و قد استقلها أعضاء وفد جمعية العلماء و جمعية الخلافة في طريقهم إلى الحجاز عام ١٩٢٦م و في يوم الخميس ١٦ شوال الموافق ٢٨ مارس ١٩٢٩م في الحادية عشرة مساءاً أقلعت الباخرة من ميناء بومباي، يا الله يا له من وقت بديع و يا لها من متعة حقة عندما تحركت الباخرة كانها القيامة، كيف أصف حركة دقات قلبي إن الشوق إلى زيارة بيت الله يجعل كل مؤمن و مؤمنة سكراناً بهذه النشوة و لا يعبأ بأي مشقة لو تعب في سبيل هذا الهدف" (٣٧)

و عـنـد وصـول عـبـد الماجد دريا بادى إلى جدة يقول "و قد قامت حكومة الـحـجـاز بـتـعيين مئات بل آلاف من المطوفين و المرشدين الهنود فما أن يضع الـزائـر الـقـدامـه عـلـى أرض شـبـه الـجـزيرة العربية حتى تصبح كل خطوة من خـطـواتـه رهـنـاً لـهـؤلاء الـمـطـوفين او نائبين عنهم فالإقامة في مكة و ترتيب الـطواف و السعي و غيرها من الأعمال الصغيرة و الكبيرة يقررها المطوف و في جدة يتم تعيين ممثل من قبل المطوف وحده بالمقارنة بمدن الهند لا تعد مدينة كـبـيـرة فسكانها حوالي خمسة عشرة ألفا و لكن لها أهمية خاصة من الناحية الـجـغـرافـيـة و الأسـواق مـزدهـرة و يـوجد فيها جميع انواع البضائع و دكاكين الـطـعـام موجودة بكثرة و يمكن أن تجد فنادق ممتازة بعد بحث قليل و أسعارها في قدرة كل فرد كما يوجد بها مكاتب البريد و المستشفيات و غيرها" (٣٨)

و عـنـدمـا وصـل عبد الماجد دريابادى إلى مكة و بيت اللّه الحرام و وقعت عـيـنـاه على الكعبة يصف هذا المشهد المهيب الذي يرى فيه بيت اللّه لاول مرة فـيقول " و ظهر لنا المسجد الحرام بحوائطه الاربعة و قد تجاوزنا عدة أبواب من أبـوابه حتى وصلنا إلى باب السلام و دخلنا منه حيث يعتقد انه أفضل أبواب بـيـت الـلّـه لـلـدخـول منه فما أن يدخل المرء إلى هذه الارض الطاهرة و هذه الـبـقـعـة من النور حيث الصلاة الواحدة فيها تعادل مائة ألف صلاة أو على الاقل ألف صلاة، دخـلـت إليه و عندما وقعت عيناى على ذلك المبنى المغطى بستارة سوداء لم يتسع لذلك الخيال من الأرض و حتى السماء و العرش و الكرسي فقلت بـصـوت عـال "سـبـحـنـا" فـالعين البشرية و البصيرة الإنسانية لا يتحملان حرارة الأنوار و الـتـجـلـيـات !! الـلّـه اللّه اي حسن و جمال اي طلاوة و فتنة اي جاذبية و جلال الـلّـه أكـبـر اي بـيت أمامنا؟ العيون حيرى و هي تنتقل بين جنباته أهذا الـبـيـت الـذي قيل فيه" أن بيت اللّه كان أول بيت يذكر فيه اسمه" فهو أول بيت لـلـعبادة على وجه الارض لم ينحصر في قرن أو قرنين و لم يبن في العين أو أربعة

الاف سنة فمن ذا الذي يستطيع ان يخبرنا في ذلك الوقت بتاريخ اول بيت للعبادة في الدنيا و اي نسل إنساني يحفظ لنا ذلك و هذا البيت اقامه سيدنا ابراهيم فمن من نسل لم يتذكر ذلك الوقت؟" (٣٩)

و عندما وصل عبد الماجد دريابادي المدينة المنورة لرؤيتها كان في عينه نور و في قلبه سرور فوصف ذلك بقوله "كم هو مبارك ذلك اليوم الاول من ذي القعدة ٧٤هـ الحادي و العشرين من ابريل ٢٩م ففي صباح هذا اليوم تحققت اكبر اماني حياتي لقد صار هذا اليوم شعاع الشمس و انا حاضر في بلاط سيدي و مولاي و شفيع الامة رسول الله" (٤)

و عندما ودع مولانا عبد الماجد دريا بادي المدينة ودعها بعواطف مليئة بالشجن و لكنه لم يفقد حواسه يقول "إن حالة وداع المدينة المنورة و لو لم تدخل في سوء الادب فان هذه الحالة تشبه تماماً حالة البنت التي تودع بيت امها فيكون الذهن شاردا و تعلو الشفاه آهات و العيون مليئة بالدموع و الوجه مفعم بالمشاعر و الجميع في الروضة حيث مصلى الرسول يتسابقون بالدعاء و تبدلت حالة القلب من الخوف و الاضطراب إلى الطمانينة و السكينة" (٤١)

و شتان بين باخرة الذهاب و باخرة العودة التي يصفها مولانا عبد الماجد دريا بادي بدقة مع ملاحظة اهتمامه بموضوع التفاعل و التشاؤم يقول "كان من نصيبنا عند العودة ان نستقبل الباخرة "رحماني" فلو ان العائدين من الحج يبدءون شئونهم بالرحمة و المرحمة و تكون اعمالهم مليئة بالرحمة فكيف لا يتفاءل القلب باسم الباخرة "رحماني" و كيف لا يعتبر ان اسم الباخرة "رحماني" هي من الرحمة و المرحمة و المغفرة و لو ان الركاب جميعاً كانوا رحماء فيما بينهم و دخلوا في زمرة الرحماء فان رحمة الله الرحمن الرحيم و كرمه لن تكون بعيدة عنهم" (٤٢)

ببليوجرافيا للرحلات إلى شبه الجزيرة العربية التي قام بها رحالة من شبه القارة الهندية ـ الباكستانية في القرنين التاسع عشر و العشرين

الرحالة	الرحلة	دار النشر	مكان الطبع	السنة
ابو حميد انور	سه اتي جلكي وطن سي	ملك برادرز	لائل پور	١٩٦٨
ابو الحسن علي ندوي	شرق اوسط ميں كيا ديكها	مكتبه تعليمات	لكهنو	١٩٩٣
ابو الاعلى المودودي	سفر ارض القرآن	اسلامك پبلي كيشنز	لاهور	١٩٩٠
ابو الخير كشفي	وطن سے وطن تك	ادارة مطبوعات و تحقيقات	لاهور	١٩٩٠
احمد حسين حلمي	سفر نامه حجاز	كرزن پريس	دهلي	١٩٠٤
احمد علي عرفاني	نور كي تجلي	كاروان ادب	ملتان	١٩٨٣
اسعد گيلاني سيد	مشاهدات حرمين	ترجمان القرآن	لاهور	١٩٨٤
اشرف علي قريشي	سفر نامه حجاز	جامعة اشرفيه	جالندهر	٩٨
افضل گيلاني	بلاوا	بك كارنر	جهلم	١٩٨٨
الطاف حسن قريشي	قافله دل كي جلي	اردو دائجسٹ	لاهور	١٩٧٣
الياس برني	صراط الحميد	مطبع اعظم جاهي	حيدر آباد	١٩٢٨
امير احمد علوي	سفر سعادت	الناظر پريس	لكهنو	١٩٣٦
ايوب بن خان	كراچى سے گنبد خضرا تك	احمد اكادمي	كراچي	١٩٨٦
بشرى رحمن	باولي بهكارن	وطن دوست اكيدمي	لاهور	١٩٨٣
بشير حسين كربلائي	سفرنامه عراق، عرب و العجم	اقبال پريس	ملتان	١٩٣٨
جهانيان جهاں گشت	سفرنامه جهانيان جهان گشت	يوسفي پريس	دهلي	١٩٢٩
حافظ لدهيانوي	جمال حرمين	كراچي پورٹ ٹرسٹ	كراچي	١٩٨٣
حسن نظامي	سفرنامه مصر و شام و حجاز	دفتر خواجه حسن نظامي	دهلي	١٩٣٣
حفظ الرحمن سيوهاروي	راه وفا	قريشي اينڈ كمپني	علي گره	١٩٣٧
حفيظ الرحمن حفيظ	سفر نامه حجاز	محبوب المطابع	دهلي	١٩٣٣
حميده سلطانه سيده	لاهور سے ديار حبيب تك	الحمرا پرنٹرز	لاهور	١٩٨٣
خطيب ناصر شاه	سفر حجاز	مطبع مدراس	مدراس	ـ ـ ن
ذاكر علي خان	مرحبا الحاج	علي گره	كراچي	١٩٨٦
زبيدا جي	زهي نصيب	نفيس اكادمي	لائل پور	١٩٨٣
سبحان الله گوركهپوري	ميرا سفر حج	————	گوركهپور	١٩٠٢
سلطان داود	سفر نامه حجاز	نور كمپني	لاهور	١٩٣٣
شمس كاشميري	جهلم سے عرفات تك	جاذب اكادمي	گجرات	١٩٧٩

شورش کاشمیری	شب جائے کہ من بودم	مکتبہ چٹان	لاہور	۱۹۶۱
صادق قریشی	بحر سخن حرم	دار الادب	لاہور	۱۹۸۸
صلاح الدین محمود	نقش اول کی تلاش	——	لاہور	۱۹۷۳
عبادت بریلوی	دیار حبیب میں چند روز	ادارہ ادب و تنقید	لاہور	۱۹۸۷
عبد الحلیم بیگ مرزا	سرگذشت حجاز	مطبع نولکشور	لکھنو	۱۸۹۵
عبد الرحیم نقشبندی	سفر حرمین الشریفین	——	دہلی	۱۹۳۱
عبد الصمد صارم (مولانا)	سفر حج و زیارت	دار الثقافت	لاہور	۱۹۵۹
عبد الکریم ثمر	سفر حجاز	آئینہ ادب	لاہور	۱۹۵۸
عبد اللہ ملک	حدیث دل	کوثر بیلی کیشنز	لاہور	۱۹۸۷
عبد الماجد دریا آبادی	سفر حجاز	معارف پریس	اعظم گڑھ	۱۹۳۱
عبد المجید صدیقی	سبیل الرشاد	انجمن پنجاب	کراچی	۱۹۳۶
عرفان علی بیگ	سفر نامہ حجاز	مطبوعہ نولکشور	لکھنو	۱۸۹۵
عزیز الرحمن	حج صادق	مکتبۂ صادقیہ	بہاول پور	۱۹۲۷
عطیہ ان علوی	سفر نامہ حجاز	انجمن پریس	کراچی	۱۹۷۰
غلام سرور	مسافر حرم	حرمت پبلشرز	راولپنڈی	۱۹۸۳
غلام الثقلین نقوی	ارض تمنا	اوراق	لاہور	۱۹۸۶
فریدہ برلچہ	سفر شوق	البدر پبلی کیشنز	لاہور	۱۹۸۸
فضل الدین	دیار حبیب کی باتیں	مکتبۂ نسیم	جہلم	۱۹۸۶
قاسم بیگ مرزا	زاد الزائرین	مطبع یوسفی	دہلی	۱۹۰۱
کاظم حسین شیفتہ کنتوری	سفر نامہ حرمین الشریفین	——	لکھنو	۱۸۷۸
کنیز محمد بیگم	ارض مقدس	اسلامیہ اکادمی	سیالکوٹ	۲۰۰۶
ماہر القادری	کاروان حجاز	دین پریس کراچی	کراچی	۱۹۹۸
محمد اسلم جوجوری	حرمین میں دو سو روز	وژن پبلی کیشنز	لاہور	۱۹۵۵
محمد جواد	سفر نامہ مقامات مقدسہ	کتاب محل	حیدر آباد	س ن
محمد حسین اللہ آبادی	رحلت المساکین	مطبع انوار صابری	کراچی	۲۰۰۵
محمد زبیر	چند دن حجاز میں	قمر کتاب گھر	کراچی	۱۹۸۸
محمد مسعود عالم ندوی	دیار عرب میں چند ماہ	——	کراچی	۱۹۵۸
محمد شریف رانجھہ	آئینہ حجاز	زاہد اکادمی	جوہر آباد	۱۹۹۰

المؤلف	الكتاب	الناشر	المكان	السنة
محمد شريف امرتسري	سفر نامه حج	——	امرتسر	١٩٣٧
محمد شجاع ناموس	سفر حج و حرمين	حيري التبيري	لاهور	١٩٦٣
محمد شفيع صابر	سفر نامه حج و زيارت	——	پشاور	١٩٦٣
محمد طفيل	سفر نامه	نقوش ـ محمد طفيل نمبر	لاهور	١٩٨٧
محمد صديق خير آبادي	رحلت الصديق	كارخانه شمير محمد	لكهنو	س ـ ن
محمد لطيف مجيلي شهري	السفر اللطيف	——	لكهنو	١٩٠٤
محمد عارف	حريم مدينه و دل	دار الكتاب	لاهور	١٩٨٣
محمد فريد الرياض	سفر نامه غوثيه	نير ولا	ملتان	س ن
محمد عمر علي خان	راه غريب	مطبع كشور هند	ميرته	١٨٨٠
محمد محسن احمد ٹونكي	سفر حج كي تاثرات	——	——	١٩٩٥
محمد منير الرياضي	داستان حرمين	——	——	١٩٦٠
محمود الحسن (شيخ الهند)	سفر نامه حجاز	مكتبه محموديه	لاهور	١٩٧٤
محمود عثمان حيدر	مشاهدات بلاد اسلاميه	اداره علم مجلس	كراچي	١٩٦٣
مسعود عالم الندوي	ديار عرب ميں چند ماه	مكتبه چراغ راه	كراچي	١٩٥٠
مسعود احمد بركاتي	بچوں كي لي سفر نامه	نونهال	كراچي	——
مصباح الدين احمد	غنچه حج	كل جمن	اسماعيليه	١٩٠٩
مفتاح الدين ظفر	سفر مقدس	مكتبه رشيديه	لاهور	١٩٦٦
ممتاز مفتي	لبيك	التحرير	لاهور	١٩٧٥
ممتاز اختر ظفر	منزل	فروغ ادب اكادمي	گوجرانواله	١٩٨٦
منصب علي حلمي	ماه مغرب	مطبع كشور هند	ميرته	١٨٧٦
نسيم حجازي	پاكستان سے ديار حرم تك	دين محمد اينڈ سنز	لاهور	١٩٢٠
نصير احمد ناصر	روداد سفر حجاز	فيروز سنز	لاهور	ت ن
وحيده نسيم	حديقه دل	غضنفر اكادمي	كراچي	١٩٥٠
وزير حسين بريلوي	وكيل الغربا	مطبع نولكشور	لكهنو	١٨٨٥
(نيكو) همايون مرزا	سفر نامه عراق	مطبع نظام دكن	——	١٩٥٥

الخاتمــــة:-

١ ـ كانت الرحلة إلى شبه الجزيرة العربية و ستظل أحد الفنون الأدبية و الإسلامية الخاصة و التي أوجدت لنفسها مساحة كبيرة و ظاهرة في الآداب الإسلامية و خاصة العربية و الأردية

٢ ـ صار مصطلح "الرحلات الحجازية" من المصطلحات المتعارف عليها في الآداب العالمية و خاصة الآداب الإسلامية و هو الآن فن أدبي إسلامي أصيل ـ تفوق به المسلمون على غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحية و اليهودية من حيث الكم و الكيف و هذا ما شهد به كبار المستشرقين، الذين أكدوا على أن المكانة البارزة التي نالها الحرمان الشريفان في الآداب الإسلامية

٣ ـ كانت رحلة نواب صديق حسن خان المعروفة بـ "رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق" من أهم الرحلات الأردية إلى شبه الجزيرة العربية ثم جاءت رحلة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ٩٩٨هـ و شاه ولي الله الدهلوي "فيوض الحرمين" عام ١١٤٤هـ

٤ ـ تميزت الرحلات الأولى لشبه الجزيرة العربية حتى القرن التاسع في الأردية بأنها جافة خالية من وصف المشاعر الإنسانية التي يشعر بها الحاج في هذا الموقف الفريد و ربما كانت مشاق الرحلة و الأهوال التي كانت تحيط بها دفعت كتاب الرحلات الأولى إلى الاهتمام بوصف الطرق و المسالك و المعلومات التي يمكن أن تهدي الحاج و ترشده إلى أداء هذه الفريضة المقدسة بدون تعب و تحمل للمشاق التي سبق و تحملها كاتب الرحلة إيمانا منه بواجبه على الحجاج الذين يأتون من بعده و إنه ـ أي هذا الواجب هو واجب ديني سينال عليه الثواب ـ أيضا و اهتم كاتب الرحلة في هذه المرحلة بالوصف الدقيق المفصل

للكعبة و المسجد الحرام و المسجد النبوي و لكنه وصف اصم يصلح بأن يقيم به مهندس معماري نموذجا أو خريطة إذ هو يخلو من شعور الواصف و احاسيسه و لهذا يمكن أن نقول أن بنية الرحلات الحجازية في هذه الفترة اهتمت اكثر بالنواحي المادية

٥ - ركزت الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في القرن العشرين على الجوانب الروحية من هذه الرحلة المقدسة و تميز اسلوبها بالرصانة و الحماس و اهتمت بالنواحي الفقهية و الأدعية المأثورة عن القرآن و السنة و لم تعد مقصورة على بعض الكتاب منهم بل اهتم بالكتابة في هذا الفن، الاديب و السياسي و الفقيه و المفكر و القاص و الكتاب و تطور الرحلات فنيا على أيديهم حتى صارت قطعة ادبية رائعة كذلك نجد فيها التاريخ و الجغرافيا و غيرها من المعلومات التي لم نجدها في الرحلات القديمة

٦ - تفوقت اللغة الاردية على مثيلاتها من اللغات الإسلامية بغزارة الإنتاج الأدبي في الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية - رغم أنها لغة إسلامية وليدة و لا يتعدى عمرها خمسة قرون و قد كشفت هذه الدراسة على أن ما كتب في هذا الفن باللغة الأردية يفوق ما كتب في اللغة العربية و أن هناك رحلات مخطوطة لم يكشف عنها حتى اليوم

٧ - تعد كتابات الرحالة الهنود عن شبه الجزيرة العربية مصدرا هاما من المصادر التاريخية و مادة علمية يمكن أن تساعدنا في التعرف على كثير من الجوانب الهامة في تاريخ شبه الجزيرة العربية

٨ - الرحلات الأردية إلى شبه الجزيرة العربية تحتاج الى هيئة علمية كاملة لدراستها و تحليل مضمونها و كشف النقاب عنها

٩ ـ أشارت الدراسة إلى أن الرحالة الهنود الذين زاروا شبه الجزيرة العربية كان منهم الغني و الفقير و الأمير و الوزير و الرجل و المرأة

١٠ ـ اختلفت الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية من حيث الكم و الكيف و الشكل و المضمون باختلاف التجربة الشعورية لكاتب الرحلة و مدى عاطفته و عقيدته

١١ ـ ظهرت الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية أول ما ظهرت في شبه القارة الهندية باللغة الفارسية التي كانت اللغة الرسمية في ذلك الوقت و شجعها الإنجليز في مقابل اللغة الأردية، لهذا تأخر ظهور الرحلات الأردية إلى شبه الجزيرة العربية حتى أواخر القرن التاسع عشر لكن سرعان ما تفوقت اللغة الأردية على مثيلاتها من اللغات الإسلامية الأخرى بغزارة الإنتاج الأدبي في هذا الفن

المصادر و المراجع

١ ـ أحمد رمضان أحمد الرحلة و الرحالة المسلمون، دار البيان العربي جدة ص ١٣

٢ ـ فيروز اللغات اردو جديد لاهور ١٩٩١ (٣٦)

٣ ـ فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين مادة (رحل)

٤ ـ أحمد رمضان أحمد الرحلة و الرحالة المسلمون ص ٧

٥ ـ أنور سديد اردو ادب مين سفر نامه، مغربي پاكستان اردو اكيدمي، لاهور ١٩٨٧ ـ ٤٩ ـ ٥٠

٦ ـ مولانا محمد رابع ندوي، كاروان ادب اسلامي (سفر نامه ادب اور قرآن مين (من كاليس) جلد نمبر ٢ و نمبر ٣ سبتمبر ١٩٩٦ ٤٣

٧ ـ عبد الباسط بدر، قراءة في أدب الرحلة مجلة الأدب الإسلامي المجلد الأول العدد الثالث محرم ١٤١٥هـ ص ١٢

٨ ـ حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة الكويت ١٩٨٩م.

٩ ـ زكي حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٧

١٠ ـ أحمد رمضان أحمد: المرجع السابق ص ٧ ـ ٨.

١١ ـ محمد ياسين صديقي: حج كى چند اهم سفرنامے، كاروان أدب، سبتمبر ١٩٩٣ ـ ٨٩ ـ ٩٠ أيضا، أنور سديد: حج ناموں كى روايت اور اردو حج نامے، نقوش ـ شماره ١٣٧ لاهور ديسمبر ١٩٨٨م، ١٧٣

١٢ ـ حسين نصار، رحلة ابن جبير ـ القاهرة (١٩٥٥) أ ـ ك.

١٣ ـ أحمد رمضان أحمد: الرحلة و الرحالة المسلمون، ٣٣٩

١٤ ـ أنور سديد: اردو أدب ميں سفر نامه، ٤٦٥ ـ ٤٧

١٥ ـ المرجع السابق ٤٧ ـ ٥٧٢.

١٦ ـ أنور سديد: حج ناموں كى اور اردو حج نامه ٦٨٢ ـ ٦٨٤

١٧ ـ أنور سديد: المرجع السابق ٦٨٣.

١٨ ـ محمد ياسين مظهر صديقي: حج كى چند اهم سفرنامه، كاروان أدب، سبتمبر ١٩٩٦م، ص ٩٢

١٩ ـ أنور سديد: حج ناموں كى اور اردو حج نامه، ٧٢٢ ـ ٧٢٣

٢٠ ـ اشفاق نقوى: الرياض كى سير، لاهور ١٩٧٧م، ص ٢٥

٢٠ ـ سمير عبد الحميد إبراهيم: إقبال و أرمغان حجاز، المكتبة العلمية، لاهور ص ١٢٨ ـ ١٢٩

٢١ ـ أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، طبعة ندوة العلماء لكهنؤ الهند الطبعة الخامسة ١٩٩١م.

٢٢ ـ المرجع السابق: ص ١٨٧ ـ ١٩٠

٢٣ ـ المرجع السابق: ص ٢

٢٤ ـ سلطان جهان بيجم: جوهر إقبالى، ص ٤٥ ـ ٤٦

٢٥ ـ سلطان جهان بيجم: رحلة الحج، ص ٦٤

٢٧ ـ سلطان جهان بيجم، رحلة الحج ص ٦٥ ـ ٦٨

٢٨ ـ سلطان جهان بيجم، رحلة الحج ص ٦٩ ـ ٧٤

٢٩ ـ سلطان جهان بيجم، رحلة الحج، ص ٧٥ ـ ٧٩

٣ ـ سلطان جهان بيجم، رحلة الحج، ص ٧٩ ـ ٨١.

٣١ ـ سلطان جهان بيجم، رحلة الحج، ص ٢٦٨

٣٢ ـ سلطان جهان بيجم، رحلة الحج، ص ٣٣٣

٣٣ ـ عبد الماجد دريابادي: آپ بيتي. مكتبة فردوس مكارم نگر، دوسرا اديشن، لكهنو ١٩٨٩م، ص ٥٩، ٦٠، ٦٩

٣٤ ـ عبد الماجد دريابادي، المرجع السابق، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤

٣٥ ـ عتيق الرحمن خان: مولانا عبد الماجد دريابادي، حيات وخدمات، بار اول، حيدر آباد ١٩٩٣م، ص ٤٤ ـ ٤٦.

٣٦ ـ عبد الماجد دريابادي، سفر حجاز، نسيم بك ديو، دوسرا اديشن لكهنو ١٩٦٦م، ص ٩

٣٧ ـ عبد الماجد دريابادي، سفر حجاز، ص ٤٨ ـ ٥٠

٣٨ عبد الماجد دريابادي، سفر حجاز، ص ٨٧ ـ ٨٨.

٣٩ ـ عبد الماجد دريابادي، سفر حجاز، ص ٢٢٤ ـ ٢٤٧

٤ ـ عبد الماجد دريابادي، سفر حجاز، ص ٥٧.

٤١ ـ عبد الماجد دريابادي، سفر حجاز، ص ٥٩

٤٢ ـ عبد الماجد دريابادي، سفر حجاز، ص ٢٣٦

◆◆

الشيخ محمد طيب المكي الرامبوري

بقلم الاستاذ مختار الدين احمد

ولد الشيخ محمد طيب بن الشيخ محمد صالح الكاتب المكي بن الشيخ محمد عبد الله في مكة المكرمة في اسرة كانت تشتغل بالتجارة و نشا و تربى لدى اخواله و خالاته في "لامو" في شرق افريقيا الخاضعة للحكم البريطاني و تجول في منطقة السواحل في عهد الطفولة و سافر إلى مسقط و غيرها من الاماكن لاغراض تجارية تلقى العلوم العربية من والده الشيخ محمد صالح و غيره من علماء عصره بمكة المكرمة جاء إلى الهند و هو في الخامسة و العشرين من عمره كان لديه إلمام بعلم التاريخ و انساب العرب و المحاضرات العلمية و كان دقيق النظر في الادب و المنقولات. اما العلوم العقلية فلم ينل فرصة للحصول عليها و لكن حدثا خاصا دفع به للحصول على تلك العلوم ايضا فاصبح بمتتر عالماً متبحرا للمنقولات و المعقولات كلتيهما اثناء اقامته في مدينة بومباي جرى النقاش بينه و بين عالم حول مسالة دينية فاسكته الشيخ محمد طيب بفضل تفوقه في المنقولات بحيث عجز عن الردّ و اعترف بعدم تخصصه في الموضوعات الدينية و تحداه للنقاش حول موضوع يتعلق بكتب المنطق و الفلسفة مثل صدرا و شمس بازغة، و من هنا مال شيخنا إلى دراسة العلوم العقلية. كانت مدينة رامبور وقتذاك مركزا معروفا لهذه العلوم و طار صيت علمائها داخل البلاد و خارجها فترك الشيخ محمد طيب مهنة التجارة و غادر بومباي إلى مدينة رامبور و انضم الى حلقة المولوى عبد الغفار خان (ت

١٣٤٨ هـ) ولكن لم يطمئن بمحاضراته فانتقل إلى حلقة الشيخ ارشاد حسين المجددي (ت ١٣١١ هـ) وفي النهاية وصل به غليله العلمي إلى حلقة امام المنطق والفلسفة والعالم والكاتب الفذ شمس العلماء مولانا عبد الحق الخير ابادي (ت ١٣١٦هـ) حيث كمل دراسته للمعقولات ونال شهرة كاستاذ جيد لهذه العلوم ايضا

درس كتبا للحديث النبوي الشريف لدى العلامة حسين بن محسن الانصاري اليمني (ت ١٣٢٧هـ) في مدينة بهوبال وبعد انهاء التعليم عين مدرسا في المدرسة العالية في رامبور وبعد وقت جرى ترقيته إلى منصب رئيس المدرسين شغل هذا المنصب لمدة غير قصيرة استفاد منه خلالها مئات التلامذة الى ان غادر رامبور ووصل في مدينة حيدر اباد حيث نزل ضيفا لدى الشيخ عبد الجبار (ت ١٣٤٤هـ) ولكن لم يجد هناك وظيفة مناسبة فعاد وعين مدرسا في دار العلوم ندوة العلماء حيث لم يلبث إلا سنة واحدة وترك الوظيفة إذ ان مرتبه لم يكن كافيا لسد حاجات العيش فجاء إلى رامبور واستقر بها إلى اخر حياته وكان ينال معونة مالية قدرها ١ روبية شهريا من الحكومة وتوفى ودفن في نفس المدينة عام ١٣٢٤هـ

ومن بواعث الاسف ان الهند نسيت عالما ومعلما بارزا مثله بسرعة حيث لم تكتب بحوث علمية حول شخصيته او اثاره العلمية ولم تصدر طبعات لكتبه بعد التحقيق والمراجعة ولم يقم احد بالبحث عن كتاباته الغير مطبوعة واعدادها للطباعة والنشر

كان الشيخ محمد طيب عبقريا يتميز ببراعة نادرة في العلوم النقلية والعقلية وكان مدرسا ممتازا ومشفقا على تلامذته وإلى جانب كونه استاذا

تولى ادارة المدرسة العالية في رام بور لبعض الوقت و ألف عدة كتب باللغة العربية التي كانت لغته الام و كان يقرض الشعر ايضاً في هذه اللغة و ان الجوانب العديدة لشخصيته تحير الباحث و المحقق و من الممكن العثور على اثاره العلمية في المكتبات المختلفة خاصة مكتبة رضا و مكتبة صولت و مكتبة المدرسة العالية و مكتبته الخاصة في رام بور و من المؤسف كذلك انه لا يوجد له ذكر في دائرة المعارف الإسلامية التى صدرت في لاهور باللغة الاردية و لعل المستشرق الالماني بروكلمان لم يذكره و لو بصورة غير مباشرة في كتابه تاريخ الادب العربي و توجد معلومات قليلة لا تكفي لاعداد رسالة لنيل شهادة الدكتوراة او حتى ماجستير في نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني (ت ١٣٤١هـ) و في تذكره كاملان رام بور للحافظ احمد علي خان شوق (ت ١٩٣٣هـ) و في رسالة صغيرة كتبها عبد السلام خان الرام بوري تحت عنوان علماء المعقولات لشبه القارة و اصدرتها مكتبة خدا بخش عام ١٩٩٦م

قضى حياته مشتغلا بالدرس و التدريس و يبلغ عدد تلامذته عدة مئات و لكننا لا نعرف إلّا عن ثلاثة او اربعة منهم و هم الحكيم محمد اجمل (ت ١٩٢٧م) و الشيخ عبد العزيز ميمن (ت ١٩٧٨م) و عبد الله بن يوسف السورتي (ت ١٣٦١هـ) و البروفسور فدا علي خان (ت ١٩٣٨م) و جميعهم كانوا نجوما لامعة في سماء العلم و المعرفة

و يمكن ان نعد الشيخ عبد السلام خان الرام بوري من تلامذته بوجه غير مباشر حيث كان تلميذا للبروفسور فدا علي خان و هو عالم بارز للمعقولات و المنقولات و لا يزال موجودا بيننا كان فدا علي خان معترفا بذكاء معلمه و سرعة خاطره و يحكي قصة بهذا الصدد فيقول "إنني ذات مرة جئت من عليجاره إلى رام بور فحضرت إلى الأستاذ المكي للقاء معه و كان في يدي كتاب

بـالـلـغـة الانكليزية و عندما استفسر الاستاذ عن ذلك الكتاب اوضحت انه يتعلق بـالـرياضيات و بعلم المخروطات على وجه التحديد و رأى إلى الاشكال و النقوش فسأل ما هذا فاوضحت مبادئ هذا الفن و للمرة الثانية عندما جئت إلى رام بور و لقيت الأستاذ فوجدته يتحدث عن فن المخروطات كعالم بارع لهذا الفن، الامر الذي عـجـبـت مـنـه كـثـيـرا و ادركت أن الأستاذ هو اعرف حتى من استاذي في الـجامعة الذي هو متخصص في الرياضيات و عندما ابديت استغرابي على ذلك قـال لـي إنـه ذهـب إلى مكتبة "نواب" لمير و قرأ ما كان فيها من كتب حول هذا الفن

يـكتب مولانا عبد السلام "سعدت بلقاء و صحبة العديد من العلماء الكبار و ثلاثة منهم كانوا اقوى ذاكرة من غيرهم و هم البروفسور فدا علي و عبد العزيز مـيمن و محمد سورتي و كان هؤلاء الثلاثة من تلامذة شيخنا محمد طيب المكي و كانوا قد صرحوا بانهم لم يروا احدا مثل استاذه في قوة الذاكرة

لـم أسـعد بزيارة الشيخ محمد سورتي حيث كان قد توفى قبل ان جئت إلى عـلـيـجـاره اما الشيخ عبد العزيز ميمن فلقيته عام ١٩٤٤م و تلمذت عليه عام ١٩٤٨م و اسـتمررت في الاستفادة منه حتى وفاته عام ١٩٧٨م كان له علاقة المودة و الـمـنـافسة معا مع الشيخ السورتي و كان يذكر عنه دائما في الفصل و خارجه و كـان يـذهب في احيانا الى ضريحه فيقول "هذا جبل العلم" و كان يعترف بان الـشـيـخ الـسـورتـي يتذكر المفردات اللغوية أكثر منه و لكن لم يكن يستطيع ان يـركب حتى كلمتين بصورة جيدة و مع ذلك كان الأستاذ الميمني يعترف بمكانته العلمية و قوة ذاكرته

كـان الأستاذ الميمني عديم النظير في قوة الذاكرة و سألته ذات مرة لعل حـضـرتـكـم تـتذكرون مائة الف بيت فقال نعم كنت اتذكر هذا العدد من الابيات

العربية فيما سبق أما الآن فلا لتذكر منها إلا ستين أو سبعين ألف بيت. بالاضافة إلى ذلك أنه كان حافظا للكثير من الحكم و الامثال و سنين الوفاة للكتاب و الشعراء

كان حديثنا عن الشيخ محمد طيب المكي و لذا نعود فنقول إن صاحب نزهة الخواطر يكتب عنه: "كان له يد بيضاء في العلوم الأدبية و المعارف الحكمية و كان يحفظ جملة من أخبار العرب و أنسابها و أشعارها لا يحفظها غيرها وكان سليم الطبع حاضر الذهن، ذكيا" و قد نقل الحافظ أحمد علي خان شوق عنه قوله "الحمد لله أني مع كوني معقوليا مسلم خالص و قد غرق في هذا البحر كثير من العلماء الكبار و لم يصلوا إلى الشاطئ، الواقع أن الدين منقول و الجميع غير كتاب الله و سنة رسول الله من الجنون و الوسواس"

و قد كتب الحافظ أحمد علي خان شوق أيضا "ذات مرة بدأ النقاش و تبادل الرسائل بين العلماء في مدينة رام بور حول مسألة علم الغيب فسألت الأستاذ المكي عن مسلكه في ذلك فقال هناك أمور كثيرة في الدين تتطلب البحث و التحقيق و لكن مثل هذا النقاش بخصوص سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم لا يخلو من خطر و لابد من الاحتراز من ذلك و كما قال الشاعر الفارسي "با خدا ديوانه باش با محمد هوشيار" عليك أن تكون مجنونا في علاقتك مع الله و لكن لابد أن تكون محترسا في علاقتك مع النبي كان يثني على الغزالي و الرازي لمكانتهما العلمية الرفيعة و يقول "أنهما كانا مولعان بالمعقولات لحد كبير فأدخلوها في كل مكان" و بينما صادق الغزالي على الطرق المتبعة لدى المتصوفين و الاسماعيليين و القرامطة فإن الشيخ المكي يرى أن التصوف ليس إلا محاكاة للنساك الهندوس و الاشراقيين و لا يمت إلى الاسلام بصلة و ليس إلا اختراعا و تكلفا في الدين كان يفضل علي بن أبي طالب رضي الله

عنه على الأصحاب الثلاثة و ربما ذلك لكونه من العلويين و لكن لم يكن يؤيد حجة الشيعة عن أحقية علي للإمامة و كان يقول إن الشيخ حلي قد قدم ألفي حجة في تأييد إمامة علي و لو وجدت واحدة منها لاتفقت على ذلك. و يقال إنه كان يشجع الطلبة على حفظ القصيدة الشهيرة لفرزدق التي تبدأ بالبيت التالي.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتــــه

و البيت يعرفه و الحــــل و الحـــرم

و يعطيهم الجوائز على ذلك.

اما مؤلفاته فهي كالاتي

رياض الأدب الصارم القرضات. شرح سلم العلوم النفحة الاجملية في الصلات الفعلية، فن اللغة، كتاب الانتقاد على العلامة محمد محمود الشنقيطي في ردّه على عاكش اليمني شارح لامية العرب للشنفري الازدي و يقع هذا الكتاب في ٣٢٥ صفحة كما جاء في تذكره كاملان رام پور و اسمه فيها شرح لامية العرب و الردّ على الشنقيطي و هو ذخيرة للتحقيقات و اللطائف الادبية كتاب القسة في فنون الخمسة المعاني و البيان و البديع و العروض و القوافي كتاب المكالمة في اللغة الدارجة كتاب الاحاجي الحامدية في فن النحو تقديم النقل على العقل كتاب ما جرى عن الفضول كتاب الحسن و الاحسن كتاب في القراءة خلف الإمام كتاب في معنى لا إله إلا الله في علم الغيب رسالة في معنى اولى الامر في قوله تعالى. اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم بالاضافة إلى هذا له رسائل عديدة في المعقولات

غير أن معظم كتبه تبقى غير مطبوعة و المطبوعة منها غير متوفرة و قد رأيت واحدا منها و هو النفحة الأجملية في الصلات الفعلية في مكتبة

تلميذه الشيخ عبد العزيز الميمني. و من بين الكتب المفضلة لديه كتاب الزمخشري الشهير في النحو

و قد ورد ذكر كتابه "الملاطمة في ردّ المقلدين" في تذكره كاملان رام بور و نزهة الخواطر غير أن الأخير يذكر اسمه كالملاطمة في الردّ على المولوي أحمد رضا" و هو تقرير عن الرسائل التي تبودلت بينه و بين العالم المعروف أحمد رضا خان البريلوي حول موضوع التقليد. غير أني لم أفز بالعثور على أي نسخة من هذا الكتاب.

تعريب د/ زبير أحمد الفاروقي

❖❖

العلّامة الشيخ عبد الحميد النعماني

حياته و مآثره و مؤلفاته

بقلم محمد صادق العلّي الندوي

ولادته و صفته و حليته

ولد العلامة عبد الحميد النعماني رحمه الله سنة ١٨٩٢م ببلدة ماليگاؤں (١) في زاوية أبيه الصالح الشيخ عظيم الله المعروف بـ"بياری حاجی" (٢) لقد نشأ و ترعرع في تصوف تام، و لم يزل على ذلك خلقا صالحا، برًا، تقيا، ورعا عابدا، قوّاما ذاكراً لله تعالى في كل أمر، رجّاعاً إليه في جميع الأحوال و الشئون، وقافا عند حدود الله

أما من حيث الجسم فقد كان مربوع القامة، صدعاً(٣) من الرجال، ذا وجه مشرق، تلوح عليه أمارات الهدوء و السكينة و العلم، و يعلوه الوقار و الرزانة، و ذا لحية كثّة لا قصيرة و لا كبيرة، و جبين واسع زاهر، ممتلىء الوجنتين، متوسط العينين، تشفّان عن ذكاء و حياء، و ساذج في تفكيره، و بسيط في كلامه، و كان أزجّ الحاجبين، رقيق الشفتين، نقيّ اللون بين سمرة و بياض، و كان متناسب الأعضاء، جميل الصورة و السيرة، نظيف الأثواب، صاحب الذوق السليم، يحب الظرافة في كل شيء، و كان للنفوس و القلوب إليه انجذاب و ميل كبير، قد اجتمعت في شخصيته المحبة و المهابة، و كان صاحب عقل و سكينة، و تواضع مع عزّة نفس و وقار و قلة كلام، و كان صاحب حياء

و صبر و توكل و استقامة ورع، و مقبلاً على العبادة و اكتساب العلم، راغبا عن الاشتغال بما لا يعنيه، و كان مائلا إلى معالي الأمور، طالباً لما يفيده في الدنيا و الآخرة، و كان بعيدا عن التحير و التعصب العلمي و الفقهي

إن الشيخ عبد الحميد النعماني ـ رحمه الله تعالى ـ نشا منذ نعومة أظفاره على حب العلم الديني و رضع من لبان حب الكتابة و التأليف، و كان خطيبا مصقعا إرتجالياً و كاتبا بارعا مترسلاً، و شاعراً مجيدا إلا أنه لم يكثر فيه، و كان معروفاً بصلة الرحم و الإحسان إلى الأصدقاء و إصلاح ذات البين، و التحرّي في لكل الحلال و الإعانة على نوائب الحق، قانعاً بالكفاف لم يدخر أموالاً هائلة

و كان حريصا على إتباع السنة، شديد التعظيم للحديث النبوي، كثير الحب للنبي الكريم صلى الله عليه و سلم، و كان يحب التوسط و الاقتصاد في كل شيء، و كان عظيم التنفّر من التفاخر و الرياء و التباهي، و لا يقرب إلى الجدال و المراء أبدا، عفيف اللسان و اليد قد سلم الناس من لسانه و يده

الإنصراف إلى العلم و التأليف

و كانت حياته موزعة بين أعمال و نشاطات متنوعة، و قد نبع يراعه كتبا و مؤلفات فأكثر و أجاد، و كان نجائب تضلعه من العلوم العقلية و النقلية، نابغة في آداب اللغة العربية و الأردية، سيّال القلم بالعربية خاصة و في غيرها عامة

و كان من الكتّاب المؤلفين البارزين بالعربية الذين نبغوا في الهند، و يمتاز أسلوبه بالنّصاعة و العذوبة، و كان يدرّس الأدب و النحو و الصرف، و كان يخطب و يعظ الناس فيأخذ بمجامع القلوب.

رحلته التعليمية

لما ترعرع الشيخ بدأ دراسة اللغة الدينية على عادة ذلك العصر في وطنه، ثم ألحقه أبوه الصالح على العلامة الشيخ محمد إسحاق - رحمه الله تعالى - و كان عالما كبيرا، متكلما ناصحا، ورعا تقيا، برا بوالديه، صاحب التودد و التواضع و الحلم و الأناة و الإستقامة، جامع العلم و العمل، مقبلا على الطاعة و سديداً في الرواية، و إماماً فريداً في البلد و كانت مجالسته نزهة الأذهان و العقول بما لديه من الأخبار التي تشنف الأسماع، و كان فتح الله عليه المعارف و جعله من العلماء الراسخين في العلم

كان الشيخ عبد الحميد النعماني - رحمه الله تعالى - مولعاً بالعلم و الأدب فتلمذ عليه و مكث عنده سنين حتى نال حظا وافراً من العلم و المعرفة، و تخرّج من مدرسته "بيت العلوم"(٤) في سنة ١٣٤٥ من الهجرة بتكميل "الدرس النظامي"

لما انعقدت الحفلة التوديعية في رحاب المدرسة حضرها العلماء من مختلف أنحاء الهند، منهم العلامة فقيد عصره و فريد دهره الشيخ شبير أحمد العثماني - رحمه الله تعالى - و كان الشيخ عبد الحميد النعماني سعيدا بأن عمه الشيخ العثماني في حفلة التوديع للمتخرجين.

و بعد التخرّج أراد الشيخ أن يدرس في مدرسته التي تخرج منها كأخيه الكبير عبد المجيد - رحمه الله تعالى - دون أن يتفكّر في أمور المعاش، لكن أعضاء هذه المدرسة لم يتيحوا له الفرصة

ثم سافر إلى قرية "ديوبند" - التي شهدت نهضة علمية و ترعرعت النشاط العلمي الديني - و لقي الشيخ شبير أحمد العثماني - رحمه الله تعالى - و أبدى

رغبته في الإلتحاق بدار العلوم ديوبند، لكن لم يستطع أن يحقق رغبته لأسباب معينة فحزن حزنا شديدا، ثم قدم إلى بلدة "مظفر نكر" و دخل المدرسة الوسطانية (Middle school) لتحصيل العلوم الدينية و قام هناك بضعة أسابيع و تلقى نزراً من العلم إذ جاءت رسالة من العالم الكبير الشيخ محمد يحيى الماليمانوي "تدعوه إلى تونك (Tonk) (٥) للإلتحاق بمدرستها"

فشد الشيخ النعماني رحله إلى بلدة "تونك" فلما وصل إلى مدينة "أجمير" لم يجد أيّ مركب فاضطرّ إلى أن يركب عربة الجمل - التي كانت متداولة في تلك الأونة - فلقى رفيقه المخلص محمد يحيي الماليمانوي و فرح بلقاء زميله، ثم التحق الشيخ النعماني بمدرسة "خليلية" و كانت هذه المدرسة تشرف على إدارة شئونها الشيخ مولانا بركات أحمد - رحمه الله تعالى - الذي انتهت اليه رئاسة العلم و التدريس في العلوم الدينية و العقلية

فاطمأنّ برفيقه الوطني و قرّبه عينا، و اشتغل بالدراسة، و استقى من مناهل العلم، و لكن وا أسفاه! حدثت فاجعة بعد عدة أشهر، و هي أن طالبا بنغاليا سحر على زوجة رئيس "تونك" لتشريد خاطره عنها مما لم يخف على الناس و أدى إلى أن الرئيس أمر بإقصاء جميع الطلبة الأجانب من الرواق، و كان الشيخ النعماني أيضا مورد اللوم و العتاب، فودّع "تونك" بكل حسرة و يأس و وصل إلى "أجمير" يتمنّى له الإلتحاق بمدرسة "دار العلوم معينية" بأي صورة ممكنة و لكن الوضع هنا كان مختلفا، و الواقع أن الطلّاب المتخرجين مع الشيخ النعماني من مدرسة خليلية بلغ عددهم إلى نيف و خمسين، فرفض مدير المدرسة مولانا معين الدين - رحمه الله تعالى - أن يمنحهم القبول و قال ان المدرسة لا تستطيع أن تتحمّل مؤنة الطعام و الشراب لهؤلاء الطلاب، فلقى الشيخ النعماني أيضا مدير المدرسة في العزلة و طلب الإلتحاق بضراعة شديدة

لكن ما بلغ مراده، ثم غادر بلدة "أجمير" و ارتحل إلى "ولاية بهوفال" لطلب العلم

دراسته في مدينة بهوفال

كان الشيخ النعماني رجلا عالي الهمة، فلم تفتر عزيمته و لم يقنط لما حدث من عدم الالتحاق، فعزم على أن يتمّ دراسته للعلوم العربية في "بهوفال" فالتحق بـ "مدرسة أحمدية" كانت هذه المدرسة شهيرة في "رياسة بهوفال" قد توفّرت لها جميع الفرص للازدهار و الرقى بما تركزّ عليها من عنايته رؤساء "بهوفال". قد قامت هذه المدرسة بخدمة عظيمة للعلوم الدينية و للمسلمين حوالي نصف قرن، و تخرج منها جم غفير ممن نشروا علم الحديث و الأدب العربي في أنحاء الهند البعيدة

و منهم مولانا عبد الحليم الصديقي - رحمه الله تعالى - الذي كان واسطة العقد و بيت القصيد من بين أساتذة الشيخ النعماني و شيوخه الكبار، و كانت له اليد الطولى و القدح المعلّى في الأدب العربي و فن النحو و الشعر، و كان ذائع الصيت و السمعة في تدريس الأدب العربي في تلك الفترة

كانت صلة الشيخ النعماني بأستاذه صلة وطيدة أكيدة، فاختص به و استأثره و قرأ عليه كتب النحو و الأدب العربي أعني "قطر الندى" و "شذور الذهب" و "ديوان الحماسة" و "المعلقات السبع" و قضى عدة سنوات في كنف أستاذه الصديقي طالبا للعلم

و كان الأستاذ الصديقي يخص تلميذه الرشيد بحبه و عنايته الخاصة فاشتهر الشيخ النعماني بين نخبة العلماء الهنديين بالعربية في تلك الفترة

لقد أحرز النعماني من مجالسة أستاذه فوائد جمة حتى إنه ما كان يتغافل عن الإستفادة من أستاذه في الظعن و السفر أيضا، كما يصرح بنفسه "إنني كنت أسافر مرة مع أستاذي الجليل الصديقي فطلبت منه في أثناء السمر أن يتم القصيدة التي تبتدأ بـ إذا الناس ناس و الزمان زمان، فأتمها إرتجالا حسب رغبتي" فعلم منها أن النعماني كان حريصا في طلب العلم

و أن تلك القصيدة مكتوبة بقلم الشيخ النعماني في ديوان الأستاذ الصديقي مع العبارة التالية

"نظمت في القطار عدة أبيات قبل ثلاثين سنة" إذا الناس ناس و الزمان زمان" ثم اقترح على إتمامها تلميذي السعيد الرشيد الأديب عبد الحميد النعماني دام علاه بعد تلك الفترة الطويلة"(٦)

فهذه الكلمات تدلّ على مكانة النعماني في نظر أستاذه الصديقي ـ رحمه الله تعالى ـ

دراسته في مدينة كانفور

ثم سافر إلى مدينة "كانفور" و التحق بـ "مدرسة إلهيات" مثابرا على التحصيل و مواظباً عليه و كان هذا الالتحاق بمناسبة إرتحال أستاذه عبد الحليم الصديقي إلى مدينة "كانفور" على دعوة الشيخ مولانا آزاد السبحاني لتدريس الأدب العربي بـ "مدرسة إلهيات"

و كان آزاد السبحاني رئيسا لمدرسة إلهيات، جليل القدر، كبير المنزلة، مقبولا بين الناس بخطابته و كتابته

مكث النعماني في "مدرسة إلهيات" سنين، ثم تخرج و نال الشهادة العلمية (وفقا للمنهج السائد في ذلك العصر) سنة ١٣٤٩ من الهجرة، ثم عاد إلى وطنه المألوف "ماليغاؤن"

و عندما كان الشيخ النعماني ببلدة "كانبور" تلمذ على الفاضل الشيخ مولانا أزاد السبحاني و قرأ على مولانا وصي الله المليح أبادي و مولانا عبد الأحد، و حضر كذلك دروس الشيخ العالم الكبير و نائب المدير لمدرسة الهيلت مولانا عبد العليم - رحمه الله تعالى -

آثاره العلمية و نشاطاته التأليفية

كان الشيخ النعماني يعيش حياة علمية كتابية، و كان كاتبا يملك سلامة الذوق و توقد الفكر و حسن الترسل و الاسلوب السهل، لأنه كان مولعا بمطالعة الكتب الدينية الأدبية، و مغرما بالبحث عن أحوال الأدباء الاخيار منذ بداية عهده العلمي

و كان يعتقد أن القلم أحد اللسانين له، هو شجرة ثمرتها الألفاظ التي تنشأ في حديقة الأدب، و الأدب حديقة لا تسقط أوراقها و لا تصفر أزهارها، و لا تفنى ثمراتها، و لأجل ذلك سعى سعياً بالغاً لمعرفة الأساليب البديعة الرائعة

إن الشيخ النعماني قد كتب مقالات عربية و أردية أيام كونه طالبا، و نشرها في مختلف الجرائد و المجلات التي كانت تصدر من مختلف أنحاء الهند في تلك الفترة أعني "تعمير" جريدة أردية أسبوعية (٧) وغيرها

و كذلك شرح بعض القصائد العربية للأستاذ عبد الحليم الصديقي رحمه الله تعالى شرحاً موجزاً جامعاً في أيام الدراسة ببلدة "بهوفال" و مما لاشك فيه أنه كان من الشعراء الذين نبغوا في الهند كما بيّناه من قبل، فنقدم أولا نموذجا من شعره يخاطب فيه "زعماء الأمة و الشبان":

هل يقظة هي أم هي الأحـــــلام؟
أم ذاك ما حملت به الأيــــــام؟
فأرى الكرامـــــــة دون كل دنائة
و أرى الحقائق فوقها أوهـــــــام
يا للرزّ أياما يشاهـــــد بهــــــا
غشىَ على وجه الضيـــاء ظلام
نكست بنود العلم رغم انوفنـــــا
و الجهل قد رفعت له الأعــــلام
سُنّت لنا الفوضى اماما فيصــــلا
و "لكل قوم سنـــــة و امــام"
و الشعب منهوك القوى متخـــاذل
متكاسل حلّت بــــه الأسقـــام
و تخثّرت أعصابه و عروقـــــــه
جفّت فلم تنهض به الاقـــدام
وتفككّت أوصالـــــه فتناثـــرت
و تمزّق الأحزاب و الأحــــــلام
و زعيم حزب يستبّد برأيـــــــه
فيما يريـــــد فما له إحجـــام
"يبدو كسرحان الفضا متنمراً"
و الناس فيما حولـــه أغنــام
أ فمثلهم يأتي يســـود زمانــا

فعليك مني يا زمان ســـــــــلام

يبنون بيت المجد فوق عواطف

و بان يثيروها يكون قـــــــــوام

و هي التي تنهال لمثال الرمـــا

ل فلا تغرّنكـــــم بنا أوهـــــام

يا أيها الوكلاء عن احزابهـــــا

ما للبنـــــــاء على الرّمـــال دوام

سيزول ما قمتم به من سلطة

باسم الزعامة، فالشبيبة قاموا

قاموا بافئدة تجيش بنزعـــــة

قد انضجتها غيرة و وئـــــــام (٨)

فهذا اسلوب شعره رقيق و بليغ، قريب العبارة، بعيد الإشارة، اقرب إلى الفهم، متناسب الألفاظ مع الفصاحة و الحلاوة

و كان الشيخ قد اختار لنفسه لقبا كعادة شعراء الأردية، كان يستعمل هذا اللقب الأدبي في الشعر فقط و كان لقبه الشعري هوا "حامد" بالأردية، و لكنه لم يمس بالشعر إلاّ في القليل النادر

أسلوبه الرصين و بعض نماذج كتاباته

و للشيخ النعماني مؤلفات كثيرة ممتعة في النثر تبلغ مؤلفاته نحو احد عشر كتابا في اللغتين العربية و الأردية، و كتبه تمثل شخصيته العلمية، و مما لاشك فيه انه كان من الكتاب و المؤلفين المعدودين في العربية و الأردية الذين نبغوا في الهند

و رغم انعدام الصلة بين الشيخ و بين الأبناء العرب الناهضين النابهين باللغة العربية إلّا أن نثرة يتصل بعصره فلا تكلف فيه و لا تعسف.

و إلى القارئ نماذج من ذلك، يقول لولا عن استقلال الهند الذي عاش فيها طويلاً مجاهداً لحريته

"الحرية من حقوقنا الطبيعية فليس لأحد أن يغتصبها، و إننا نعتقد ديناً و سياسة بأن أي أمة مهما بلغت القمة من الحضارة و المدنية لا يجوز لها أن تحكم على أي أمة من الأمم، و انطلاقاً من عقيدتنا هذه نعتبر نحن الهنود الحكومة البريطانية و سيطرتها سيطرة غاشمة جائرة، و لا نزال نرفع أصواتنا ضدّها مهما أدى إلى بذل جهودنا و تضحياتنا، فالتضحية و التفاني في الحق قد ورثناها من أسلافنا و أجدادنا" (٩)

و كذلك يقول عن الإستقلال "الصوت الذي رفعه كبارنا لنيل حرية الوطن، لا نزال نتقدم لتضخيمه و تفخيمه نفساً و نفاسناً، فقد تجرّ عنا من مرارات الذل و العبودية طويلاً، و لا نكاد نحتمل ملامحها العقلي و الفكري أكثر مما تحملنا، و لن نألو جهداً في التضحية بالنفس و النفائس لأجل حريتنا المرجوة" (١)

يلوح من العبارتين السابقتين أن الشيخ لا يلقي بينه و بين القارئ أستاراً صفيقة من غرابة اللفظ و ثقل السجع و القافية و الصنعة اللفظية، و لا يقيم حوله حصاراً من الزخارف اللفظية و تطويل الكلام، كما كانت عادة المؤرخين السابقين الذين كانوا يؤثرون السجع و القافية و يحرصون على الزخرف و الصنعة، و لكن الشيخ عبد الحميد رفض رفضاً باتّاً اتباع التقاليد القديمة في الأسلوب

و نشبت الإضطرابات الطائفية سنة ١٩٦٧م ببلدة "ماليغاون" فقرر زعماء الهندوس و المسلمين بأن يثبتوا الأمن و السلامة في الحفلة التي كانت انعقدت تحت رئاسة الشيخ النعماني فيقول مدويا و مجلجلا

"من الخطأ الفاحش أن نتكلم عن تحقيق الأمن و إقرار السلام ما لم يتم إنسحاب الجيوش من هنا. هؤلاء الزعماء انتهاريّون يميلون حيث مال الزمان، لا يتحقق الأمن و الهدوء مادام يوجد "ايس - ار - بي"، و أقول بكل صراحة إن الجراحة إذا كانت خضراء فتلقين درس "و اصفحوا و انسوا" هراء غيرطائل. إن الذين مازالوا يعرضون المسلمين لأنواع من المحن و البلايا كيف يمكن أن يساهم المسلمون بدون أن تندمل جروحهم، و إن كرهت الحكومة هذه المصارحة و الطلبات لكنه لابد منها، و أنا على يقين بأن صوت الحق لايزال يواجه الكبت و الضغط كما أن المظلوم عاش مطارداً محاربا في كل زمان. فمواجهة الحق و الصدق للظلم و الكبت ليس ببدع، فقد مر الحق في بعض الأحيان بأوضاع قاسية، لم يبق فيها من أعوانه إلاّ قلائل، لكنه انتصر و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"(١١)

فأسلوبه سهل بسيط سيال رائع، هنا اقدم عبارتين أخريين تلقيان ضوءا على الدستور الاساسي لمدرسة "معهد ملت" فيقول:

"الفكرة الأساسية التي تتبنّاها "مدرسة ملت" هي أن يضطلع الطلاب بكلتى الثقافتين الإسلامية منها و المعاصرة من البراعة في مقررّة الدرس النظامي "العربية" و إتقان اللغة العربية نطقاً و بحثاً و كتابة، و معرفة التاريخ الإسلامي و اللغة الإنجليزية، حتى تنشأ فيهم مؤهلة و إستعداد يتفق و حاجات العصر و يتمكنوا بها من القيام بمسئولياتهم نحو الدين و المجتمع بأحسن وجه ممكن" (١٢)

ثم يقول عن أهل "معهد ملت" "من ميزة أي مدرسة من مدارسنا العربية الدينية و نجاحها أن يتوفر لها في مجالها العلمي و الأدبي أساتذة بارعون تفوق مؤهلاتهم و صلاحياتهم و ذوقهم العلمي و الأدبي واجباتهم و مسئولياتهم نحو التعليم و التدريس" (١٣)

و بهاتين العبارتين نستطيع أن ندرك أن الشيخ قد إلتزم بأساليب رائعة ممتعة في كتاباته، و لكنه لم يعن بالبدائع و الصنائع و المبالغة، بل اتخذ طريقا معتدلا في تراكيب الجمل التي كانت متألفة من الألفاظ الجزلة المتينة

و ها هنا يخاطب النعماني أساتذة "معهد ملت" "فرسالتي للأساتذة أن لا ينسوا للحظة أن اقامة "معهد ملت" ليس غرضها الا اعداد رجال يتصفون بالخلق العظيم و السيرة المثالية في جانب، و يتمتعون بمكانة خاصة في العلم و الأدب في جانب آخر و أن يجعلوا نصب أعينهم هدفا بنّاءا من وراء هذه الحياة" (١٤)

إن هذه العبارة تدل على أنه يستخدم جملا مختصرة سانحة يتجلى فيها الطابع الممتاز للمؤلف. فإن الشيخ يعبر عما يدور في خلده بالطريق السهل الممتع

إن أسلوب الشيخ صورة صادقة لحسن ذوقه العلمي وحب الواقع و تحري الدقة، و هذا الأسلوب توضع فيه الألفاظ مواضعها، و تأخذ فيه الجمل حظها من الروعة و البلاغة و حسن النظم، و كان الشيخ يرمي الى الإفهام و الإيضاح و الإبانة باستعمال الألفاظ التي تجلو الحقيقة و تقربها إلى الأذهان، فجاء أسلوبه منزهاً عن الاختلال، سليما عن الفصول، بريئا عن التعقيد متصلا بالأذهان، ملتحما بالعقول، فترتاح له القلوب و تهتز له النفوس، و كان يراعي مقتضى الحال في كل مقال

ليس أدبه أدب العاطفة التي تستبد به، لأنه كان رجلا يحب الحقيقة و يعاف التصنع و يسعى ليدرك الحقائق فلذا لدركها حاول التعبير القوي الواضح و كان يتجنب المجاز على قدر ما يستطيع، فإن اضطرّ إلى تشبيه أو استعارة أو كناية أتى بها طبعا، إذ كانت أقرب طريق للإيضاح و الإبانة فأعتقد أنه يستخدم الألفاظ استخداما عجيبا كأنها عجينة في يديه يصنع منها ما يشاء كما يشاء، و كذلك امتازت كتبه بجمال الأداء و براعة الأسلوب و شرف المعاني، و حسن الإبتداع في الأخيلة مع الإزدواج حينا و السجع حينا آخر، و قد أحتال على نشاط القارئ ببراعة الأسلوب و النقد و دقة الملاحظة و عمق المشاهدة و شمول الفكر، و بالتحاشي عن الروايات المتعددة، كان بعيد الإشارة، قريب العبارة، قليل الإستعارة

مكانته بين علماء عصره و بين المؤلفين و الكتّاب

إن العلامة الشيخ عبد الحميد النعماني تناول مواضيع مختلفة، و عالج مسائل المجتمع و الأخلاق و التربية و التعليم و قد ألّف الكتب في كثير التراجم الأدبية و قواعد النحو و الصرف و الأدب و التاريخ و السير و ما إلى ذلك.

قد درس العلوم الأدبية العربية درسا وافيا، حتى أتقنها و أصبح أديبا بارعا، و انتهت إليه الرئاسة في الأدب العربي

و كان الشيخ يحب العلم لذات العلم و كان يشعر بالفخر حين يذكر أرباب العلم و فحول الأدب، و كانت له عناية كبيرة في تمجيد الأمجاد في الأخلاق و العلم. و لا شك أنه رفع مستوى اللغة العربية في البلاد العلمانية

أما مكانته في الأدب و قواعد النحو و الصرف، فإنه كان دقيقا ضابطاً لما يحس، و كان يشهد علماء الأدب العربي الذين كانت لهم الرئاسة، و لم يكتف بالرحلة و لقاء العلماء و السماع منهم، بل كان حريصا على الإجازات و نالها،

و ترك لنا كتابين هامين "كفاك علما بالعربية" في اربع مجلّدات (١٥) و الكتاب الآخر "إلى الأدب العربي" (١٦) الذي عرّبه النعماني من الإنجليزية

و لها منزلته في تراجم الكتب العربية إلى لغات عديدة، فقد كان ذا حظ كبير، سنبينه إن شاء اللّه تعالى

إن الشيخ يمثل طبقة عالية من كبار أدباء الأمة الإسلامية و هو النموذج المثالي لحياة المجتمع العلمي الهندي في القرن الرابع عشر الهجري

و أشاد بذكره المؤلف الفاضل الكبير العلامة جميل بيهم البيروتي حينما عرّب النعماني مقدمة "ترجمان القرآن" إمام الهند أبي الكلام آزاد بهذه العبارة

"لم أر في الهند أديبا مثل الأستاذ عبد الحميد النعماني في عصره، عبقريا يعبر عن بعض التراث الهندي الأصيل مثل مقدمة "ترجمان القرآن" للمجتهد مولانا أبي الكلام آزاد جزاه اللّه عنا و وفقنا لذلك و هو ولي التوفيق" (١٧)

كما أثنى عليه العالم المحدث الكبير الشيخ عبد الفتاح ابو غدّه الشامي الحلبي بهذه الواقعة لما أصدر كتاب "الرفع و التكميل في الجرح و التعديل" للشيخ أبي الحسنات من "مكتبة المطبوعات الإسلامية" بـ "حلب"، فأرسل نسخته الأصيلة إلى "مكتبة معهد ملت" بشفعه التأييد بالشيخ النعماني و مدرسته " معهد ملت" بهذه العبارة التي كتبها على جبهة الكتاب كما تلي

"هدية إلى مكتبة "معهد ملت" في ماليغاؤن" التي زرتها و سعدت بلقاء شيوخها و علمائها و في طليعتهم مولانا الشيخ عبد الحميد النعماني حفظه اللّه للعلم و زينة العلماء الصالحين" أمين، (١٨) (من محبيه: عبد الفتاح أبوغدة)

و كذلك لشاده أديب العربية الكامل الهندي، ناظم لمكتبة الرامفور (بالهند) و مؤلف الكتب العديدة حضرة الفاضل الأستاذ امتياز علي خان عرشي الرامفوري المرحوم الذي كان من مدّاحي النعماني رحمه اللّه، و إنهما رفيقين متبسطين في عصرهما، فيقول في مكتوبه الخطيّ أرسله إلى النعماني في١٣/ديسمبر ١٩٥٨م مشوقا إليه "إنني أريد أن أكتب سيرتي شخصيا على طراز "الأيام" للدكتور طه حسين المصري، و سوف أستخدم هذا الأسلوب العجيب إذا وُفّقت في الأردو إن شاء اللّه تعالى فما أحسن أن يعرّبها الأديب البارع المصقع مثلك" (١٩) و لكن العرشي ما فاز في مرامه

و بالجملة إن الشيخ عبد الحميد قد اختار موضوعاً هاما و تخصص فيه، ألا هو نقل الكتب العربية إلى الأردية بالأخص و نحو ذلك

و من حسن الحظ أنه عرّب كتابا للدكتور زبير أحمد الصديقي من الإنجليزية، بالعكس مما كان سائدا في عصره، و قد أحسن إلى نفسه باختيار اللغة العربية، لأنها اللغة العالمية الخالدة التي ستبقى - بفضل القرآن و الإسلام - ببقاء الإسلام و بقاء العلوم الإسلامية، إن اللغة العربية لا خطر عليها، و لا أفول لنجمها بين الأمم الإسلامية

أما مؤلفاته التاريخية و الأدبية في اللغة الأردية فسنتحدث عنها بشيء من التفصيل في الآتي.

و أخيرا لا بد لنا أن نعترف بفضله في ترقية اللغة العربية في الهند، لأنه أول عالم في القرن العشرين في الهند بذل مواهبه و صلاحيته في سبيل اللغة العربية خاصة

فإن الشيخ ساهم في تطوير المنهج العلمي و رفع مستوى التعليم الديني

عن طريق "معهد ملت" و كان مؤسس "معهد ملت" طول حياته، و خدم الإسلام و المسلمين من نواح شتى، و في مجالات مختلفة و حقّ لنا أن ننشد.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المجامع،

العودة إلى مجال التصنيف و الترجمة

إعتنى الشيخ بمهمة خدمة الإسلام بكتبه و تراجمه، و هذه الكتب و التراجم تدل على ملكته العلمية و عقليته العميقة و دراسته الواسعة و بحوثه العلمية و كان يميل طبعه من أول حياته إلى القراءة و التحقيق و التصنيف، و لكن لا يعلم كثير من علماء عصره أنه كان كثير التأليف كتابه في قواعد النحو و الصرف، و منه: "كماك علما بالعربية" (في أربع مجلدات) طبع عدة مرات في حياة الشيخ، يقع في ٤٧ صفحات كاملة، و هذا الكتاب تأليف بأسلوب سهل رائع لطيف، جمع قواعد النحو و الصرف بالمجلدات الثلاثة خاصة و في الرابعة عامة، و تلقى هذا الكتاب القبول و الإعجاب في الأوساط الأدبية، و قررته عدة مدارس للتدريس في منهج الدراسات النحوية و الصرفية إلى الصفوف الوسطى.

إن الجزء الأول و الثاني فقد كتبهما في اللغة المحلية، لكي يفهم الطالب الناشيء الهندي في لغته المحلية بطريق أحسن، و أما الجزآن الآخران منهما فهما بالعربية الفصحى اللطيفة الخلابة، لكي يعرف الطالب الهندي مكانة العربية الخالدة و يفهمها

و جمع المؤلف آيات القرآن الكريم المتعلقة بموضوع الأدب الإسلامي ثم جاء بالقطعات و الأشعار الأدبية الرائعة في أماكن مختلفة، و قد تجلى في تلك

حسن اختـيـار المؤلف للآيات و الأشعار و المقتبسات، بدأ الكتاب ببيان "حروف الـجـر و مـعـانيها" و رتّب الكتاب على طراز جديد مفيد لجميع طلاب الجامعات و المدارس

و شـرع الـجـزء الثالث بهذه العبارة التالية التي هي مقدمة الكتاب فيقول فيها الطلاب:

"قرأت فيما سبق جزئين من الكتاب "كفاك علما بالعربية" للسنة الأولى و الثانية بلغتك الأم، و هذا هو الجزء الثالث منه، تقرأ فيه القواعد باللغة العربية رأسا، جمعنا فيه ما هو المطلوب من الدروس في صف السنة الثالثة و الرابعة مع تكرار ما قد ورد في الجزئين السابقين، ليكون ما قرأت مرتسما في ذاكرتك، راسخا في ذهنك و رتّبنا الدروس فيه بالعبارات و الأمثال التي تمهد الطريق، إلى فهم المسائل و سهل تطبيق القواعد و تعين في مستقبلك على القراءة السليمة و الكتابة الصحيحة و من اللّه التوفيق و عليه التكلان" (٢)
(المؤلف)

الـمـجـلـد الرابع و قد افتتح كتابه الرابع بهذه العبارة الآتية فيقول: "هذا هـو الـجـزء الرابع من الكتاب" كفاك علما بالعربية" للطالبين في الصف الرابع، جـمـعـنـا فيه عبارات توفر لهم التعبير و تمكنهم الإستعمال اللغوي، و توسع لهم مـجـال الأخذ و الإدراك، و لتـبـعـنا كل عبارة محادثة ترجمهم الإجابة و الإقتراح و ألـحـقـنـا الـمـحادثة تمرينات تثبت ما تعلّموا من القواعد في الأذهان و ختاماً قدمنا لهم ما يتمرنون به على النقل و التعريب، نرجو بذلك كله أن يتقدم الطالب إلـى الـصـف الـخـامس مزودا بما يلزمه في تعلّم الأدب العربي في العام المقبل، و على اللّه التكلان".(٣١) (المؤلف ١٣/ ستمبر سنة ١٩٧م)

و الجمهور بالذكر لن كتاب "كماك علما بالعربية" نال قبولا عاما، و طار صيته من أقصى الهند إلى أقصاها في زمنه

الهوامش:

١ ـ مدينة قريبة من "بومباي" في جهة الغرب للهند في ولاية مهاراشترا ـ الهند

٢ ـ أي الحاج الحبيب

٣ ـ صدع من الرجال متوسط بين النحافة و السمن

٤ ـ هي المدرسة الأولى التي أسست ببلدة "ماليغاؤن" بولاية مهاراشترا ـ الهند

٥ ـ بلدة عظيمة بولاية راجستهان (الهند)

٦ ـ غلش مجلة صدرت من مدرسة النعماني "معهد ملت" ماليغاؤن ص ٤/ سنة ١٣٩٩هـ

٧ ـ تصدر من ولاية "بهوبال" (الهند)

٨ ـ "الضياء" مجلة شهرية تصدر من مدينة "لكناؤ" (الهند) المجلد السادس العدد الأول الصفحة ٢٨ جمادى الثاني سنة ١٣٥١هـ المطابق لكتوبر سنة ١٩٣٢م

٩ ـ "نقش حريت" (رولمع عن الإستقلال) للشيخ محمد حنيف الملي

١٠ ـ أيضا، ص ٤٦ ط/ ١،

١١ ـ "غلش" مجلة صدرت من مدرسة النعماني "معهد ملت" ماليغاؤن ص/ ٢٥ سنة ١٣٩٩هـ

١٢ ـ "غلش" مجلة ص/ ١٦ سنة ١٣٩٩هـ

١٣ ـ أيضاً ص/ ٩٥ سنة ١٣٩٩هـ

١٤ ـ "غلش" ص/ ٤ سنة ١٣٩٩هـ

١٥ ـ طبع الجزء الأول "كفاك" في بومباي بمطبعة "أجمي" للمرة الأولى سنة ١٣٨٨هـ ثم صدرت له بقية

الأجزاء من "ماليغاون" بعدة طبعات.

١٦ ـ لم يطبع حتى الآن.

١٧ ـ جريدة "غلغش" نصف شهرية صادرة من "معهد ملت" ماليغاون" المجلد ٤، ٥، العدد ٢٤، ١ ص ١ سنة ١٩٨٥م.

١٨ ـ مجلة "غلغش" ص ١٨٣ سنة ١٣٩٩هـ.

١٩ ـ راجع لمعرفة شخصيته لمتياز علي خان بقلم محمد حنيف الملي في جريدة "غلغش" نصف شهرية ج ١/ ع/ ٣، ص ٤، ١٩٨١م.

٢٠ ـ كفاك علما بالعربية، الجزء الثالث، ص/ ب، ط/ المطبعة "الهلال" ماليغاون (الهند).

٢١ ـ كفاك علما بالعربية، الجزء الرابع، ص/ ب، ط/ المطبعة "الهلال" ماليغاون (الهند).

❖ ❖

الهندســـة المعمارية الهندوكية

بقلم ويل ديورانت

[ويل ديورانت (Will Durant) (١٨٨٥ - ١٩٨١م) أحد المثقفين الكبار للعصر الراهن، وُلد في مساشوسيتس (Masachussetts) بالولايات المتحدة الامريكية. و مع انه قد ألف عدة كتب سابقا، و لكن ذاع صيته بمؤلفه الشهير A Story of philosphy الذي قامت دور النشر المختلفة بنشره في طبعات عديدة و قد لقي هذا الكتاب نجاحا واسعا لدرجة، كما يقول ديورانت، ان احد اساتذة جامعة ميدويست (Midwest University) كتب إليه يقول اني كنت اقوم بتدريس كانت (Kant) منذ خمسة عشر عاما، و لكني لم افهم (كانت) كما ينبغي حتى قرأت الفصل الخاص عنه في كتاب ديورانت الجديد.

و في العقد الاول من القرن التاسع عشر شرع ديورانت في إنجاز اروع عمله الكتابي (The Story of Civilization) الذي تم نشره الآن في احد عشر مجلدا، و كل مجلد منه لا يقل عن سبع مائة صفحة. ثم كتب ذيلا له في مجلد صغير تحت عنوان The Lessons of History و في مقدمة هذا الذيل اوضح ديورانت في مقال له تحت عنوان Our Oriental Heritage أهداف هذا المشروع قائلاً "اودّ أن اوضح اقصى ما امكن الايضاح لي، و في أقل صفحات ممكنة، الإسهامات التي قامت بها العبقرية و الجهد البشري في التراث الحضاري للإنسانية - و ان اورّخ و اعمل الفكر في اسبابها و سماتها و تاثيراتها و في ترقية الاكتشافات، و تنوع التنظيم الاقتصادي، و التجارب الحكومية،

و طموحات الحياة، و تغيرات الخلق و السلوك، و روائع الأدب، و تطوير العلم، و حكمة الفلسفة و إنجازات الفن" إن ديورانت نفسه وصف هذا المشروع "بالسخافة"، و لكن أي إنسان طالع، و لو جزءا يسيرا من هذا العمل، سوف يوافق على أن مؤلفه هذا من روائع التاريخ و الأدب

و خلال عمله على المجلد الأول الذي كان يريد أن يكتب فيه فصلاً عن الهند، قدم ديورانت إلى هذه البلاد في عشرينات العشرين القرن، و ذلك "لأن اضيف شيئا إلى حواشي، و أن أنظر بأم عيني بعض الأعمال الفنية، ثم أرجع إلى دراساتي التاريخية، ناسيا هذا العالم المعاصر"

و لكن زيارته القصيرة للهند أدخلت تغييرا جذريا في حياته و إن كل ما رأى و شاهد هنا أثر فيه بطريقين الاشمئزاز الشديد بعدوان الانجليز و الإعجاب بفن البلاد و حضارتها و فلسفتها فالشعور الأول أدى به إلى تأليف كتاب كامل The Case of India، يحاول فيه ديورانت، بذكر الحقائق و الأرقام، أن يهدم دعوى الإنجليز عن الحسنات التي أسدوها إلى الهند خلال حكمهم عليها و الشعور الثاني حدى به أن يكتب فصلا عن الهند في Our Oriental Heritage الذي اقتبسنا منه النبذة التالية - رئيس التحرير]

لم يبق شيء من آثار الهندسة المعمارية الهندية التي أنجزت قبل عصر أشوكا (Ashoka) توجد لدينا بقايا آجرة موهين جو - دارو (Mohenjo-daro)، و لكن المباني الهندية في العصرين البوذي و الفيدي كانت في الظاهر من الخشب و يبدو أن (أشوكا) هو أول من استعمل الحجر لأغراض الهندسة المعمارية نحن نقرأ في المؤلفات القديمة عن المباني ذات الطوابق السبعة و عن الأمكنة المفخمة، لكن لا يوجد الآن عين و لا أثر لها إن ميجارثينز

(Megasthenes) يصف القصور الملكية لـ شاندرا جوبتا (Chandra gupta) بأنها تمتاز عن كل بناء في فارس ماعدا برسيبوليس (Persepolis) التي على طرازها صُممت هذه القصور الملكية فيما يبدو و استمر هذا النموذ الفارسي حتى عصر (أشوكا)، و يتجلى ذلك في تصميم الدور الأرضي لقصره الذي يماثل قاعة الألف عمود، و يظهر ذلك مرة أخرى في عمود (أشوكا) المحطم الموجود في لوريا (Lauriya) الذي يتوجه تاج أسد.

و حينما اعتنق (أشوكا) الديانة البوذية، بدأت الهندسة المعمارية الهندية تتخلى عن النفوذ الأجنبي، و شرعت تأخذ إيحاءاتها و رموزها من الديانة الجديدة و يتجلى هذا التحول في تاج رائع لعمود أحر شاه (أشوكا) و يوجد في سارنات (Sarnath)، و التاج هو كل ما بقي من ذلك العمود و هذا العمود يتميز ببراعة باعثة على الدهشة، حيث وصفه السيرجون مارشال (Sir John Marshal): "أنها تساوي أية براعة فنية للعالم القديم" يتضمن هذا العمود لربعة أسود قويات قائمات على الحراسة متدابرات بعضها بعضا و هي إيرانية الشكل و الملامح بصورة كاملة، و لكن يوجد تحتها افريز من الصور البارزة النحت، و يتضمن الفيل ذلك الحيوان الأثير لدى الهنود و عجلة القانون البوذية، الرمز الهندي البحت، ثم تحت ذلك الإفريز توجد زهرة لوتس حجري عظيم ظنت في الماضي بالخطأ أنها تاج ناقوس إيراني، و لكن اعترفت الآن بأنها أقدم و أعم و أروع رمز من رموز الفن الهندي بأجمعها و قد نحتت هذه الزهرة بحيث وجهها إلى الأعلى و بتلاتها منحنية إلى الأسفل، و تبدو فيها المدقة أو غلاف البزرة واضحة، و التي ترمز إلى رحم الكون أو الى إحدى مظاهر الطبيعة الأكثر روعة، و تقوم مقام عرش الإله، و هاجر رمز زهرة اللوتس أو زنبق الماء مع الديانة البوذية و تسرب إلى الفن الصيني و الياباني و هناك شكل مماثل تم استخدامه

في تصميم الشبابيك و الأبواب أصبح "القوس الحدوي" للقبب و العقد في عصر (أشوكا)، و كان اقتبس أصلا من تقوس "العربة المغطاة" للسقوف البنجالية المقوسة و المدعومة بأعواد البامبو المنحني

إن الهندسة المعمارية الدينية للعصر البوذي خلفت لنا بعض المعابد الحجرية ذات "الإسطبات" و "السيجات" العديدة و كانت الإسطبة في سالف الزمان رابية لدفن الموتى، و لكن في الديانة البوذية صارت معبدا تذكاريا يحتوي على جثة قديس بوذي بصورة عامة و الاسطبة في معظم الأحيان قبة من الآجر متوجة بقمة مستدقة و محاطة بسياج حجري ذي نقوش ضئيلة البروز و توجد إحدى الاسطبات الأقدم في بارهوت (Bharhut) و لكن نقوشها عتيقة الطراز على نحو بدائي. أما السياج الموجود الأكثر زخرفة هو ما يوجد في امرافاتي (Amravati)، فقد تغطي نقوش دقيقة و رائعة جدا سبعة عشر ألف قدم مكعب لهذا السياج، بحيث وصفه فيرجوزون (Fergusson) "لعله المعلم الأكثر روعة في الهند" و من أشهر الاسطبات هي أسطبة سانتشي (Sanchi)، و توجد أخرى من هذه المجموعة في بيلسا (Bhelsa) بيوفال، فإن أبوابها الحجرية تحاكي في الغالب الأشكال الخشبية العتيقة، و تتقدم "بيلور" أو "توريز" الذي طالما يمير الطرق المؤدية إلى المعابد في دول الشرق البعيد. إن كل شبر من الأعمدة و تيجان العمود و القطع المتعارضة و الدعامات نحت عليه عدد ضخم من الصور النباتية و الحيوانية و البشرية و الإلاهية و على عمود للبوابة الشرقية يوجد نحت بارع للرمز البوذي الخالد - شجرة بوذي (عقل/نور) التي تلقى تحتها (بوذا) تنوره الروحي و على البوابة نفسها نحتت إلاهة شهوانية (ياكشي) ذات أوصال ثقيلة و وركين ممتلئين و خاصرة دقيقة و ثديين ضخمتين

و بينما نام القديسون الموتى في الاسطبات، قام الرهبان الأحياء بنحت المعابد في صخور الجبال، حيث يتيسر لهم أن يعيشوا في انعزال و كسل و سلام،

بمنأى من القوى الجوية و من وهج الشمس و حره و يمكننا أن نتصور فورة الحماسة الدينية في الهند بملاحظة أن اثنتي عشرة مائة و نيفا من هذه المعابد الكهوفية لا تزال باقية حتى الآن من بين عدة آلاف معبد تم تشييده في القرون الأولى للعصر الذي نحن بصدده، حيث كانت بعضها للبراهمة و أتباع الديانة الجاينية، و لكن معظمها كانت للطوائف البوذية إن مدخل هذه الأديرة كان في الأغلب متسما بالبساطة على شكل الحدوة أو عقد اللوتس، و لكن في بعض الأحيان كان المدخل مزخرف الواجهة، كما يوجد في مدينة ناسيك (Nasik)، متضمنا أعمدة قوية و تيجانا حيوانية و عتبات منحوتة نحتا طويلة، و كان مزخرفا في أغلب الأحيان بدعامات و حواجز حجرية أو بأروقة معمدة بارعة التصميم و في هذه الأديرة كانت توجد قاعة اجتماع مع صف للأعمدة كان يفصل الصحن من الجناح و حجيرات للرهبان على الجانبين و مذبح يشتمل على الجثث في الطرف الداخلي(١) و من أقدم هذه المعابد الكهوفية و من أروعها في الغالب ما يوجد في كارلي (Karle) الواقعة بين مدينتي بونا و بومباي و هو الرائعة الهندسية التي أنجزتها طائفة هينايانا (Henayana) للديانة البوذية

إن الكهوف الواقعة في أجنتا (Ajanta)، مضافا إلى كونها محبا لأروع الرسوم البوذية، تساوي المعابد الواقعة في (كارلي) في كونها نماذج للفن المركب الذي يجمع بين المثالية و الهندسة المعمارية مناصفة، و الذي هو الخصيصة البارزة للمعابد الهندية فالكهف الأول و الثاني يتضمنان قاعة واسعة للاجتماع نحتت سقوفهما ثم رسمت بتصاميم أنيقة هادئة، و تعتمد على أعمدة مخددة قوية مكعبة الأساس و مستديرة الذروة، و مزينة بأطواق زهرية، و متوجة بتيجان فخمة و الكهف التاسع عشر يتميز بواجهته التي تم زخرفتها بتماثيل

دهبية و نقوش مركبة ضئيلة البروز و لما في الكهف السادس و العشرين فالأعمدة العملاقة ترتفع إلى افريز منوّع بتماثيل لن يتأتى نحتها بمثل هذا التمثيل إلا لأقوى حماسة دينية و فنية. إنه لا يمكن أن ننكر على (اجنتا) لقب إحدى الإنجازات العظيمة في تاريخ الفن

و من بين المعابد البوذية التي لا تزال باقية في الهند، إن المعبد الأجل و الأفخم هو البرج الأعظم في مدينة بود جيا (Bodh-Gaya)، و تتأسس أهميته على أن عقوده كلها قوطية، و يرجع تاريخ بنائه فيما يبدو إلى القرن الأول الميلادي. و جملة القول أن آثار الهندسة المعمارية البوذية مخربة و مهدمة. و لعل النزعة التطهرية (Puritanism) قد وسمت معابدهم بميسم البساطة و فقدان الزخرفة من الخارج. أما أتباع الديانة اليانية (Jainism) فقد كرسوا جهودهم على الهندسة المعمارية و تفانوا فيها على مستوى أكبر. فكانت معابدهم خلال القرن الحادي عشر و الثاني عشر أفخم المعابد في الهند. و إنهم لم ينشئوا أسلوبهم الخاص بهم، و إنما اكتفوا بادي ذي بدء بمحاكاة التصميم البوذي القائم على شق المعابد في صخور الجبال (كما فعلوا في ايلورا (Elura))، ثم حاكوا المعابد من طراز فيشنو (Vishnu) أو شيفا (Shiva) التي طالما تشيد على هضبة في مجموعة محاطة بالجدران. و هذه الأخرى كانت بسيطة من الخارج، و لكن في داخلها كانت مركبة و غنية - رمزا سعيدا للحياة البسيطة. إن الأعمال النابعة عن التقوى نحتت تمثالا تلو تمثال لأبطال الديانة اليانية في هذه المعابد، حتى وصل عدده في شاترونجايا (Shatrunjaya) كما أحصاه (فيرجوزون) إلى ٦٤٤٩ تمثالا

إن معبد الديانة اليانية الواقع في ايهول (Aihole) قد شيد في شكل مستطيل وفق الطراز الإغريقي تقريبا، و يتضمن أعمدة خارجية و شرفة

و حجيرة أو غرفة مركزية في داخله و في مدينة كهاجوراهو (Khajuraho) قام الجانيون و متعابو الإلهين الهندوكيين (فيشنو) و (شيفا) ببناء نحو ثمانية و عشرين معبدا يتقارب بعضه بعضا، و ذلك تمثيلا لتسامح الديانة الهندوكية في الأغلب إن معبد بارشوا ناث (Parshwanath) هو أفخم معبد من بين هذه المعابد، و يرتفع في الجو كورا فكورا إلى ارتفاع مهيب، و توجد على سطوحه المنحوتة مدينة حقيقية للرهبان الجانيين و على جبل أبو (Mt Abu) الواقع على ارتفاع أربعة آلاف قدم من الصحراء، بنى الجانيون معابد عديدة، و لم يبق منها إلا إثنان، و هما معبد فيملا (Vimla) و تيجاهبالا (Tejahbala) اللذين يعدان أروع إنجازات الهندسة المعمارية لهذه النحلة في مجال الفن و قبة معبد (تيجاهبالا) من إحدى التجارب الفاخرة التي لا تستطيع أن تعبر عنها أية كتابة عن النص تعبيرا صادقا إن معبد (فيملا) الذي شيد بالرخام الأبيض فحسب يتضمن متاهة من الأعمدة الغير منتظمة تربطها كتيبات زاهية بسطح معمد منقوش بصورة أكثر بساطة، و توجد فوقه قبة رخامية موفورة التماثيل، و لكن نحتت في شريط زيني من الحجر يهتز له القلب اهتزازا حيث يقول عنه (فيرجوسون) "انه يتميز بدقة الأجزاء الثانية و ملائمة الزخرفة لدرجة لا يوجد له أي مثال آخر في أي بقعة من العالم و ان كنيسة الملك هنري السابع في ويستمنيستر (Westminister) أو في اوكسفورد التي بناها المهندسون المعماريون القوطيون تبدو خرقاء و غير بارعة بالمقارنة"

نحن نتبين، في معابد النحلة الجانية و ما بنيت في عصرها، تحولا من الشكل الدائري للمعبد البوذي إلى الطراز البرجي للقرون الوسطى فالصحن أو الجزء الداخلي المحاط بالأعمدة لقاعة الاجتماع نقل إلى خارج المعبد و حول إلى شرفة، و توجد خلفها حجيرة، و على تلك الحجيرة يرتفع البرج المنحوت

و المعتقد في السماء في طبقات متقصلة تدريجيا على هذا التصميم بالذات بنيت المعابد الهندوكية في شمالي الهند. و من أروع هذه المعابد هي المجموعة التي تتواجد في مدينة بوفانيشوارا (Bhuvaneshwara) في ولاية اوريسا (Orissa) و من أجمل هذه المجموعة هو معبد راجا راني (Raja Rani) الذي بني في ذكرى (فيشنو) في القرن الحادي عشر الميلادي و هو في الواقع برج عملاق يتكون من أعمدة شبه دائرية وضع بعضها بجانب بعض و هي ملأى بالتماثيل، و تعلو عليها طبقات متقلصة تدريجيا من الحجر و إن هذا البرج المنحني داخليا ينتهي إلى تاج دائري و قمة مستدقة عظيمة و على مقربة منه يوجد معبد لينجا راجا (Lingaraja)، و هو أكبر من معبد (راجا راني) و لكن ليس بأجمل منه و بالرغم من ذلك إن كل شبر من سطحه قد عمل فيه إزميل النحات، فلا غرو إذا بلغت تكاليف النحت ثلاثة أضعاف تكاليف البناء و إن الهنادك لم يعبروا عن تقواهم بجلال معابدهم المهيب فحسب، بل عن طريق نحت الأجزاء الثانية لها بصبر لا ينفد و جهد لا يعرف الكلل

و إنه يخلو من المتعة أن تذكر الإنجازات المعمارية الأخرى للهنادك في شمالي الهند، بدون تمثيل فوتوغرافي و وصف توضيحي و مع ذلك إن أي سجل للحضارة الهندية لن يسعه أن يغفل معابد سوريا (Surya) الواقع في كوناراك (Konarak) و موذيرا (Mudhera)، و برج جاغاناث بوري (Jagannath Puri)، و البوابة الجميلة في فادنغر (Vadnagar)، و المعابد الفخمة المدعاة باسم ساس باهو (Sas Bahu) و تيلي كا ماندير (Teli- Ka Mandir) في مدينة (جواليار)، و برج فتح شيتور (Chitor) و تمتاز من بينها معابد متقابي (شيما) الواقعة في مدينة (كهاجو راهو) و إن قبة شرفة معبد خانوار ماث (Khanwar Math) في المدينة نفسها تبدي القوة الذكورية للهندسة المعمارية الهندية

و وفرة و ثبات النحت الهندي إن معبد (شيفا) الواقع في ايليفانتا (Elephanta) حتى بعد خرابه لا يزال يوحينا بأعمدته المخددة الفخمة و تيجانه المتكاثرة و نقوشه الممتازة الصقيلة البروز و تماثيله القوية بوجود عصر للنشاط الوطني و المهارة الفنية لم تبق منها الآن إلا ذكراها فحسب.

إننا لن يمكننا أن ننصف الفن الهندي، لأن الجهالة و العصبية قد دمرت أجل إنجازاته و أفخمها، و خربت باقيها جزئيا. فالبرتغاليون قد أشهدوا على تقواهم عن طريق كسر التماثيل و النقوش الصقيلة البروز في (ايليفانتا) بوحشية جامحة. و إن الأيام و العصبية قد أجمعتا على تدميرها، حيث هجر الهنادك المتشددون المعابد التي انتهكت حرمتها بلمس الأيدي الأجنبية إياها

و إن جنوب الهند أيضا موفور المعابد و هي بصورة عامة أجل و أبهى من تلك التي لا تزال تتواجد في شمالي الهند، و أكبر حجما و أكثر روعة و تأثيرا و قد أحصى (فيرجوزون) نحو ثلاثين معبدا جنوبيا أو "دراوديا"، و كل واحد منها لابد أن كلف بناءه، وفق تقديراته، مثل بناء كاتدرائية انجليزية. و قد تبنى الجنوب الأساليب البنائية لشمالي الهند و ذلك بإنشاء بوابة قدام الشرفة و دعم الشرفة بكثرة كاثرة من الأعمدة. و قد تلاعب بولع برمز العامة المستوحى من "سواتيكا"(٢)، الذي يعتبر شعار الشمس و عجلة الحياة، و ذلك عن طريق معرض فخم للحيوانات المقدسة، فالثعبان عن طريق طرح إهابه القديم يرمز إلى التناسخ، و كان الثور نموذجا يحسد عليه للقوة التناسلية، و الفالوس كان يمثل الجودة التوليدية لشيفا، و طالما كان يحدد شكل المعبد نفسه

و إن عناصر ثلاثة كان يشكل التصميم الهيكلي لهذه المعابد الجنوبية: البوابة، و الشرفة المعمدة، و البرج الذي كان يضم قاعة الاجتماع

أو الحجرة و إن هذه الهندسة المعمارية الجنوبية بأكملها كانت اكليركية ببعض الاستثناءات العرضية مثل قصر تيرومالا نايك (Tirumala Nayyak) الواقع في مادورا (Madura) فلم يعن الإنسان بأن يبني عمارة فخمة لنفسه، و لكن كرس فنه للكهنة و الآلهة و لا يوجد وضع يبين بصورة افضل من هذا أن الثيوقراطية الطبيعية هي التي كانت تملك السلطة الحقيقية لذلك في بلاد الهند فبين المباني و العمارات العديدة التي شيدها ملوك شالوكيان (Chalukyan) و رعاياهم لم تبق اليوم إلا المعابد. و إن هندوكيا ذريع اللسان موحده يستطيع أن يصف التناسق البديع للمعبد الواقع في اتاجي (Ittaji) بمدينة حيدرأباد(٣) أو المعبد الواقع في سومناثبور (Somnathpur) بمدينة ميسور، حيث نحتت فيهما جلاميد الصخر برقة الشريط الزيني، أو معبد هويشاليشوارا (Hoyshaleshwara) الواقع في هاليبيد (Halebid)، و هو الآخر يقع في مدينة ميسور يقول عنه (فيرجوزون) "انه من إحدى العمارات التي يرغب مؤيد الهندسة المعمارية الهندوكية أن يبني عليها رؤيته" و يضيف قائلا "إن التوافق الفني للخطوط الأفقية مع الخطوط العمودية، و تلاعب الخط الكفافي و الضوء و الظل يتفوق بدرجة كبيرة على كل عمل للفن القوطي و إن التأثيرات الناتجة عنه هي نفس ما كان يرمي إليها المهندسون المعماريون للقرون الوسطى في كثير من الأحيان، و لكن ما ظفروا بها قط بصورة أفضل كما ظفروا بها في (هاليبيد)

و إذا أخذتنا الدهشة على أعمال التقى المجهدة التي استطاعت أن تنحت ثماني عشرة مائة قدم من الإفريز في معبد (هاليبيد)، و تمكنت من أن تصور فيه ألفي فيل، كل منه يختلف عن الآخر، فماذا نقول عن الأناة و الهمة اللتين تولتا مسئولية نحت معبد بأكمله من صخر صلب واحد؟ و لكن ذلك كان إنجازا

عـامـا لـلـحرفي الهندوكي فمي ماملا بورام (Mamalla Puram) على الساحل الـشرقي قريبا من مدينة مدراس، إنهم قاموا بنحت عدة معابد متعددة الأطوار، و أجملها ما يـدعى بـ "دير انصباط النمس الأرفع" و إن (إيلورا) التي تعتبر محطة للزيارات الدينية في مدينة حيدرأباد تسابق هناك أتباع المحلتين البوذية و اليـابـيـة و الهنادك المتشددون بعضهم بعضا في نحت معابد مثليثية عظيمة من صـخـور الـجـبال، و أروع مثال لها هو المعبد الهندوكي لكيلاشا (Kailasha) الـذي سمي باسم الفردوس الميثولوجي لشيفا الواقع في جبال الهملايا فقد شق هـنـاك الـحـرفيون الذين لا يعرفون الكلل مائة قدم إلى الأسفل في الصخرة لعزل الـجـلـمـود - ٢٥ مـضـروبـا فـي ١٦ قـدمـا - ليكون المعبد، ثم نحتوه من الداخل، و افـعـمـوه بالفن الأشد إذهالا و كفى بالتصوير الجصي الحريري "للمحبين" أن يـكون عينة فنية واحدة و أخيرا، و مازال هيامهم بالهندسة المعمارية مضطرم الأوار، إنـهـم نـحـتـوا سلسلة من المعابد و الأديرة عميقا في داخل الصخر على الـجـوانـب الـثـلاثـة للمحتجر و يعتبر بعض الهنادك معبد (كيلاشا) مساويا لأي إنجاز آخر في تاريخ الفن

مـهـمـا يـكن الأمر، إن مـثـل هـذه الـهـيـاكل و المعابد تدل على الالمعية و الـبـراعـة و الـقـوة مـثل أهرام مصر، و لابد أن سالت في بناءها عروق كثير من الـنـاس و دمـاءهـم و لـم تـعـرف نقابة الصناع في القرون الوسطى و لا أسيادهم الـكـلـل و الونى، فإنهم انتشروا في كل ولاية من جنوبي الهند و شيدوا فيها معابد ضـخـمـة بأعداد كبيرة، حيث يصعب على الطالب و السائح المتجول أن يستبين جودتـهـا الفريدية نظرا إلى أعدادها و قوتها فمي بتتادا كال (Pattadakal) بنت الـمـلـكـة لـوكـا مهاديفي (Lokamahadevi) إحدى زوجات الملك فيكراماديتيا الـثـانـي (Vikramadityall) من سـلالـة (شـالـوكـيان)، في ذكرى (شيفا)، معبد

فيروباكشا (Virupaksha) الذي يحل محلا رفيعا في قلوب المعجبين بالهند و في تانجور (Tanjore) جنوبي مدراس، إن الملك راجا راجا (Rajaraja) العظيم من سلالة شولا (Cholu) بعد فتح ولايات جنوب الهند و السيلان، شاطر (شيما) غنائمه، حيث شيد في ذكراه معبدا رسميا تم تصميمه لتمثيل الرمز التوليدي لهذا الإله (٤) و قريبا من تريشي نوبولي (Trichinopoly) غربي (تانجور)، قام متعابدو الإله (شيما) ببناء معبد شري رنجام (Shri Rangam) الذي يتميز بشرفة متعددة الاعمدة على شكل قاعة الالف عمود على جبل مرتفع، و كل عمود منها يتكون من كتلة واحدة للغرانيت تم نحتها نحتا وافرا و بينما كان الحرفيون الهنادك مكبين على إنجاز مشروع هذا المعبد إذ فوجئوا بطلقات بنادق الفرنسيين و الانجليز الذين كانوا يتحاربون للاستيلاء على الهند، ففروا شذر مذر، و توقفت أعمال البناء و على مقربة منه في (مادورا) بنى الإخوان موتو و نايك في ذكرى (شيفا) معبدا ولسعا الجنبات مع القاعة الألف عمود و حوض مقدس و عشر بوابات، و اربع منها مرتفعة جدا، و نحتت عليها عدد ضخم من التماثيل إن هذه المعابد معا تشكل مشهدا لكثر إعجابا في الهند و قياسا على هذه المعابد المتبقية يمكننا أن نكوّن رأيا عن الهندسة المعمارية الفنية الواسعة الانتشار لملوك فيجيا نغر (Vijayanagar) و لخيرا لابد لن نذكر للمعبد الواقع في راميشفارام (Rameshvaram)، حيث قام براهمة جنوبي الهند، عبر خمسة قرون (١٢ - ١٧٦٩م) في الأرخبيل الذي شكل "قنطرة آدم" من الهند إلى السيلان، ببناء المعبد الذي كانت حدوده الخارجية مزينة بممرات و شرفات اكثر إعجابا - اربعة آلاف قدم من الصف الثاني للاعمدة، التي نحتت بإتقان كامل و صممت لأن يوفر ظلا باردا و مشاهد موحية للشمس و البحر لآلاف من الذين يشدون إليه الرحال من المدن القاصية للهند حتى يومنا هذا، ليبوحوا بآمالهم و آلامهم بين يدي آلهة لا يعنون بهم أيما اعتناء

الهوامش

١ - إن توافق هذا الجانب الداخلي بالكنائس المسيحية دل على التأثير المحتمل لأساليب البناء الهندوكية على الهندسة المعمارية المسيحية الأولى

٢ - كلمة سنسكريتية و هي رمز الرفاهية و الحظ السعيد

٣ - يقول ميدروز تيلور (Meadrus Taylor) في وصفه "إنه يستعصي على الإنسان أن يصف النقوش المتواجدة على بعض الأعمدة و العتبات العليا للنوافذ و الأبواب و إن أي كلمة كتبت بماء الفضة أو الذهب لا يمكن أن تكون أفضل منها كما لا يمكن أن ندرك في يومنا هذا ما هي الأدوات التي كانت استخدمت في تنسيق و تطريز هذا الصخر الصلب و صقله"

٤ - إن قمة هذا المعبد تتكون من كتلة واحدة من الصخر طولها خمسة و عشرون قدما مكعبا و وزنها نحو ثمانين طنا و طبقا للتقليد الهندوكي قد تم إيصال الكتلة في مكانها عن طريق سحبها على منحدر مصنوع على أربعة أميال، ولعل العمالة المحتجزة استخدمت في مثل هذه الأعمال بدلا من الماكينات "المستعبدة للبشر"

تعريب: ولي أختر ندوي

◆◆

الموسيقى الملحوظة الهندوستانية الكلاسيكية الخفيفة

الفوارق بين الموسيقى الهندية و الموسيقى الغربية

بقلم ريحا سوريا

إن تصور الموسيقى في الغرب هو سماوي أساسا كما في الأشكال الرفيعة للبالية و الاوبرا بينما أنه في الهند أرضي من الناحية الأساسية ـ و في الرقص الكلاسيكي الهندي تثبت الأقدام على الأرض بقوة و إن الإيقاع يمثل دورا كبيرا في الرقص و الموسيقى بالهند و الإيقاع الهندي يقوم على الحلقات بينما الإيقاع الغربي يقوم على الخطوط و الفارق الآخر في المزاج الجمالي يتمثل في استخدام النبرات الحميمة للغاية بالإضافة إلى هذا فإن هيكل الموسيقى الهندية على عكس الموسيقى الكلاسيكية الغربية يقوم أساسا على تطوير ارتجالي لقطعة موسيقية معينة و التقليد الموسيقى الهندي هو شفهي و يعلمه الأستاذ تلاميذه بوجه مباشر بدلا من متابعة نظام للرموز المكتوبة كما هو المعتاد في الغرب كما أن الموسيقي الغربية مبنية على الإيقاع بينما الموسيقى الهندية مبنية على اللحن

الموسيقى الكلاسيكية الهندية

يمكن تتبع نظام الموسيقى الكلاسيكية الهندية إلى ألفي سنة تقريبا من أجل التعرف على أصولها المتواجدة في التراتيل الفيدية للمعابد الهندوسية و كان انشاد هذه التراتيل قد أدى إلى ظهور ما يسمى "تشاند براماندة" و هو الموسيقى المعتمدة على البحور و قد نبع منها لحن "دهروباد" المتميز بالكآبة

و السذاجة و العظمة و أعطى لحن دهروباد صيغة الخيال ـ الموسيقى الملموظة اللاكسيكية الهندية الشائعة من قبل العديد من المبدعين و أخص بالذكر منهم أمير خسرو، العالم و مؤلف الموسيقى الشهير للقرن الثالث عشر و ثمة اعتقاد سائد بأن "تهومري" و هو شكل للموسيقى الكلاسيكية يعالج المشاعر الرومانتيكية فرع للخيال إنه نال الشهرة و الشعبية في بلاط نواب واجد علي خان حاكم لوكنهـ أثناء القرن التاسع عشر و سمى رسميا "تهومرى" و يعتقد البعض أن "تهومري" كان رائجا جنبا إلى جنب "دهروباد" و "خيال" بإسم آخر و المقطع الأول لهذه التسمية و هو "تهوم" مشتق من "تهوماك" و معناه التمايل في مشية خاصة و المقطع الأخير و هو "رى" يدل على ميزته الانثوية و لن تهومرى الأشكال المتجانسة له و هي "دادرا" و "هورى" و "كاجرى" و "جهولا" و "تشايتى" و "ساون" و "غزل"، تنتمي إلى فئة الموسيقى الكلاسيكية الخفيفة التي يشكل اللحن جوهرها و هناك ألحان بعدد لا يحصر و لكل منها هيكل محدد ذو سلم صاعد و هابط و تركيب و لهجة و لغة خاصة و لهذه الألحان علاقة مع وقت خاص من النهار أو الليل و أحيانا مع إحدى الفصول. و اللحن يظهر نفسه داخل دورة زمنية تدعى "تالا" و هي معقدة نفس التعقيد الذي يتميز به اللحن نفسه إذ أن العازف البارع يطورها أيضا بصورة ارتجالية و يستلذ السامع الخبير من اللحظات المثيرة التي تأتي عندما يلتقي كلا الموسيقاريين بعد الارتجال المفصل عند النقطة البدائية للدورة الايقاعية و يقال إن الدورات الايقاعية للدورة الزمنية (تالا) تعكس الفلسفة الهندوسية للتناسخ و هكذا فإن الموسيقى الهندوستانية يمكن أن تعتبر تعبيرا لهذه الفلسفة

هذا و إن "ناتيا شاسترا" و هي رسالة حول الموسيقى و الرقص و المسرحية تتحدث عن العواطف التسع التي تنظم الحياة الإنسانية و هي

الغرام و الشهوة الجنسية و الشفقة و الدعابة و الشجاعة و الخوف و الغضب و الاشمئزاز و الاندهاش و الحب للسلام أما "تهومرى" و الأشكال المتجانسة له فهي مشبعة بعاطفة الحب و رمزها هو اللون الأخضر الذي يمثل اللانهاية ـ المحيط و السماء ـ و الحقيقة أن عاطفة الحب هي عاطفة شاملة تستوعب العواطف التسع الجمعاء التي تدور حولها التجارب الإنسانية بأسرها سواء كانت حسية سافلة أو رفيعة سامية

الموسيقى الملفوظة الكلاسيكية الخفيفة

إن الفارق الأساسي بين الموسيقى الكلاسيكية و الكلاسيكية الخفيفة يتمثل في أن المغني الكلاسيكي يتمسك تمسكا شديدا ببنية لحن بينما ينحرف صاحب الموسيقى الكلاسيكية الخفيفة من هذه البنية لبرهة قصيرة و ربما يستخدم نبرة ممنوعة و يدخل لحنا آخر ذا ميزات مشتركة ثم يعود إلى اللحن الأصلي و إن عمل العودة إلى اللحن الأصلي يتطلب الحذق و البراعة لكي يكون ذلك انتقالا هادئا و غير مفاجيء

ينقسم تهومرى إلى ثلاثة أنواع و هي "بول بانت" أو "بندش كى تهومرى" المعتمد على التركيب و "ارتها بهاؤا" و هو يغنى لرقص "كاتهاك" الذي يتم فيه تصنيف الكلمات عن طريق الرقص مما يعطيها تفسيرات و دلالات خاصة و "بول بنانا" و هو النوع الأسمى و معناه اختيار كلمة أو عبارة من النص و إبداع تنوعات موسيقية فيها و حولها مما يعطيها ظلالا عاطفية مختلفة و عنصر هام في "بول بنانا" أو التنوعات الموسيقية لكلمة أو عبارة هو ما يدعى "كاهان" أى طريقة الأداء داخل البنية الموسيقية

كانت مدن لكناؤ و بنارس و جايا مراكز لتهومري تميز اسلوب الغناء فيها باللطافة و الاعتماد على نقاء النبرات و التأكيد على الميزة العاطفية اكثر من البراعة الفنية أما مدرسة بتياله للموسيقى فتميزت بالزخرفه و القوة و النشاط و قد قامت هذه المدرسة بتكييف أسلوب المدرسة الأولى

أما لغة التراكيب المبنية على النص فهي الهندية القديمة التي تدعى "برج بهارشا" أو اللهجات الاقليمية لولاية أترابرادیش مثل "اللهجة الشرقية أو الأودهية" و في الأيام الماضية التي لم تكن تتواجد فيها قاعات الحفلات الموسيقية كانت المعابد و القصور و الصالونات أماكن رئيسية لممارسة و عرض الموسيقى الهندية بالاضافة الى القرى و الأرياف حيث كانت تعقد حفلات ساهرة للموسيقى

و ان "دادرا" هو صيغة ذات اسلوب بارع للموسيقى الشعبية تتميزبالسلاجة الأرضية و الرقة الكلاسيكية معا و هناك فوارق جوهرية بين تهومري و دادرا فدرجة السرعة في دادرا مفعمة بالحيوية و النشاط اما كلمة "دادرا" فهي مشتقة من "دادور" و معناها الضفدع و سبب هذه التسمية هو أن الحركات الايقاعية في "دادرا" تماثل القفزات التي يقوم بها ضفدع و المقاطع الموسيقية المنوعة في دادرا تضفر بإحكام مع الايقاع مما يساعد في الحفاظ على نشاط الايقاع طوال العرض و بدلا من كلمة واحدة يتم اختيار مقاطع للتوسع الموسيقى و إن "دادرا" يحتوي على مقاطع اكثر منها في "تهومري" و على عكس ذلك فان المعالجة الموسيقية في تهومري تكون بطيئة إذ أن الحركة ذاتها أيضا تكون بطيئة مع العبارات المتراخية التي لا تجاوز كلمة واحدة في كثير من الأحيان

و من أشكال تهومري ما يرتبط بالتقويم الهندي و منها "هوري" و "تشايتي" و "كاجرى" و "ساون" و "جهولا" و التركيبات الخاصة بتهومرى تصف المزاج و المرح الذين يتميز بهما مهرجان "هولى" الملون و تدور علمة حول موضوع غرام رادها و كرشنا تنشد أغانى "تشايتى" في شهر "تشايت" على أثر عيد الألوان الذي يصادف بداية الصيف و تعكس حرارة الصيف في تركيب تلك الأغاني التي تحتوى دائما على عبارة "هو راما" إذ أن هذا الشهر هو شهر عيد رام نومى الذي يحتفل فيه بمولد اللورد راما و يتم انشاد هذه الأغاني بأسلوب "دادرا" أو "تهومرى"

أما أغانى كاجرى و ساون و جهولا فيتم تغنيتها أثناء فترة الموسون و تعكس هذه الأغاني ما هناك من عاطفية في فصل الأمطار و أثرها على القلب الإنساني و إن أغنية كاجرى تحوى عادة العتب على الفراق من الحبيب حينما تذرف السماء أيضا دموعها وسط النضارة الطبيعية في أيام المطر و يتم تغنيتها بأسلوب "دادرا" و أغنية "ساون" أيضا تكون عادة ذات موضوع مماثل و لكن يتم تغنيته بأسلوب تهومرى أما "جهولا" (أرجوحة) فتتصف أغانيه بمزاج أكثر فرحا و نشاطا و تصور بهجة التراب المبتل و الأخضر عندما تجلس البنات الريفيات متمايلات على القطعات الخشبية المشدودة بالأشجار بحبائل طويلة و كلمة جهولا ذاتها تعنى الأرجوحة و المقاطع الموسيقية في هذه الأغاني تعكس حركة التمايل و التأرجح و هي تغنى بأسلوب "دادرا"

و من ناحية المقاطع فإن دادرا يدور أحيانا حول موضوع مزدوج و هو الحب الرومنطيقى و الباطنى و يسمى هذا "نيرجون دادرا" و هو تصور خاص بحركة بهكتى أو التصوف يفسر فيه التوق للإتحاد مع الحبيب كتوق الروح الإنساني للإتحاد مع الروح الكونية. و إن هذا الموضوع المزدوج يوجد أحيانا في الغزل

و الغزل كصنف من أصناف الشعر جاء إلى الهند من فارس أثناء فترة الحكم المغولي و إن لغة الغزل الهندي - الأردية - هي خليط لعدة لغات و هي الهندية و الفارسية و التركية و العربية، و العرض الموسيقي للغزل يتميز بالدقة و اللطافة و في الشعر الأردي يذكر المتكلم مذكرا بينما يكون مؤنثا في الشعر الهندي

الوضع الراهن للموسيقى الكلاسيكية الخفيفة

على الرغم من قوتها الطبيعية إلا أن الموسيقى الكلاسيكية الخفيفة قد لا تبقى لمدة زمنية طويلة جراء حرمانها من رعاية المحظيات اللاتي كن يغنينها عن طريق ممارستها و أدائها لتسلية الأمراء و الحكام في بلاطهم و من المعروف أن الهند بعد الاستقلال ألغت نظام الإمارات و الأمراء الذين كانوا يرعون المحظيات و اتخذت الحكومة الهندية لذلك موقفا أخلاقيا لحد ما تجاه الموسيقارات حيث أتاحت لبعضهن الوظائف في المحطات الإذاعية بشرط تقديم شهادة الزواج من أجل ضمان احترامهن من قبل الناس، و بمر الوقت حدثت تغييرات اجتماعية مصحوبة بتغييرات سياسية تضاءلت الموسيقى الكلاسيكية الخفيفة في غمارها

بالإضافة إلى هذا فإن بعض الموسيقارين الكلاسيكيين الذين يمارسون أشكالا أكثر تعقيدا يستخفون بالموسيقى الكلاسيكية الخفيفة و يعتقدون أن ميزتها الرومنتيكية تنم عن التفاهة و الحقيقة أن غناء تهومري بصورة جيدة يتطلب التدريب في "الخيال" لكي يقارب إبداعيته لو أن الأخير يتميز بتعقيد فني أكبر و كثير من المغنيين للخيال يضمنون ذخيرتهم الموسيقية قطعة من تهومري كقطعة ختامية بدون استخدامها كصنف متخصص بل يغنونها بشكل

عام و من بواعث الأسف أن الأشكال المتجانسة له تبقى موضع اهمال ماعدا الغزل الذي يحوى قدرا اكبر من النص و يحظى بشعبية عامة و يستمر في النمو و الازدهار و إن المغنيين للغزل في الوقت الحاضر هم غير متصلعين عامة في "تهومرى" و هم ينتمون إلى عالم موسيقى الأفلام الهندية

تعريب د/ فرحانه صديقي



في انتظار البوذا

بقلم انيل تشاندرا

في عام ٦٢٩م اعتلى سرونغ - سان - غامبو الذي كان ينتمي إلى سلالة يارلونغ على العرش في لهاسا بناءً على وصية ملكتيه (احداهما من نيبال و الثانية من الصين) و قام بنشر رسالة البوذية في التيبت غير ان سائر التيبت اعتنقت البوذية أثناء حكم حفيده الاقدم خريسونغ ديتسون و كان يعيش في منطقة اوديان الواقعة في شمال شرق الهند ساحر بوذي يدعى باسم سامبهافا و وجهت الدعوات إليه لزيارة التيبت في عام ٧٤٧م و كانت صحبته مع الملك ديتسون هي التي أدت إلى انتشار البوذية في هذه البقعة من الارض و إلى يومنا هذا يعبر الناس عن مشاعر الإحترام و التبجيل له باعتباره راهبا في المجتمع التيبتي كان يعرف "بالاستاذ رينبوتشي" معناه " الحجر الكريم" و هذه هي حكاية نشر البوذية في التيبت

و في عام ٧٥١م كان يعيش هناك اسكاف يسمى "تنومفستان" في لهاسا و هو يسكن في غرفة صغيرة في السرداب تطل نافذتها على الشارع بحيث لا يمكن لاحد أن يرى من خلالها شيئاً إلا اقدام المارين و لكن تومفستان كان يميز بين الناس بأحذيتهم و كان قد عاش في تلك المنطقة لمدة غير قصيرة و له معارف شخصية كثيرة فيها فما من زوج للاحذية في تلك المنطقة إلا و قد صنعه بايديه و لذا كان تومفستان شهد احيانا كثيرة تلك الاحذية من تلك النافذة

كان توسستان رجلا طيباً بطبعه و لكنه في شيخوخته بدا يفكر عن روحه و الإلـه و بـيـنما كان يشتغل لدى صاحبه نزلت على زوجته نازلة الموت و خلفت وراءها ابـناً صـغـيراً لا يـتـجاوز ثلاث سنوات من عمره. و لم يبق اي طفل من أطـفـالـه الـكـبار حياً، فلم تعانقهم الحياة حتى لاحتضنهم الموت في أول الأمر فكر توسستان في أن يرسل إبنه الصغير إلى أخته في القرية لتكفله و لكن راوده الـحـزن على مفارقة ابنه حيث اعتقد أنه قد يصعب على ولده أن ينمو و يترعرع في أسرة غريبة و قرر نهائياً أن يبقيه معه

و حـرصـاً عـلـى الـمـزيـد من الرزق و المعاش ترك تونسستان صاحبه و بدأ يـعـمـل بـصـمة مستقلة و لكن لم يكن سعيد الحظ فيما يتعلق بطفله فلم يبلغ الـطـفـل من الـعـمـر مـرحلة يساعد فيها والده حتى مرض و بعد أن كان ملازماً الـفـراش بـحـمـى شـديد لقى حتفه لم يستطع توسستان أن يبقى رابط الجاش طـويـلاً فـعـمـره الـقـنوط و اليأس لحد أنه بدأ يتذمر ضد اللّه و في حالة أسفه ابـتـهل الى اللّه مرة بعد مرة بأن يوافيه الأجل و لائماً إياه على سلب إبنه الوحيد الذي كان يحبه شديد الحب بينما هو نفسه يبقى على قيد الحياة رغم كونه اكبر منه سناً

و ذات يوم جاء إليه غياتشو تسيرينغ و هو رجل مسن من نفس القرية كان قـد أصـبـح راهـبـاً عائداً في طريقه من تيرسامي. فمتح تونسستان قلبه و سكب أمامه كل ما كان في قلبه و أخبره عن أحزانه

و قـال "لا تـتـمنى أن أعيش مزيداً أيها القديس و كل ما أطلب من اللّه هو أن يصيبني الموت في أقرب فرصة ممكنة حيث لم يبق لي أي أمل في الحياة"

فأجاب الكاهن الشيخ "لا يجدر بك أن تلفظ مثل هذه الكلمات يا صديقي

إن الـولادة و الـموت جزءان من الحياة و كذلك الالام و مشكلتك هي انك تحب ان تعيش لأجل سعادتك فقط"

سأل تونغستان لأي شئ آخر يحب المرء أن يعيش؟

"لـلـتـحـرر من الـعـالـم الـمـادي" قـال الكاهن "إن الحزن و الالام و عدم الارتياح و غيره من اشكال الكآبة جزء لا يتجزأ للحياة و لا يمكن ان نال التحرر من العالم المادي إلاّ بنبذ الاهواء و الرغبات و الرضا الذاتي و الانانية"

لـزم تونغستان الصمت لمدة قليلة فسأل "و لكن كيف نحصل على التحرر من العالم المادي"؟

"قـد هـدانـا بـوذا إلـى طـريـقـة الـتـحـرر من الـعـالـم الـمـادي" أجـاب غياتشوتسيرينغ

إنـه بـلّغ رسـالـتـه لـلـشـفـقة و السعادة الحقيقية قبل عدة قرون فلو نتبع تعاليمه نشعر بدرجة أكبر من القناعة

خضع الإسكاف متواضعا و سأل من اين يمكن أن نأخذ تعاليم بوذا

توجد تعاليم بوذا في النصوص التي تسمى بـ"تدوير عجلة القانون" باللغة الـسـنـسـكـريـتـيـة بـينما لغتنا هي لغة بوت و لو ترغب سأتي إليك خلال الايام القادمة و أخبرك عن تعاليم بوذا

"إنه من كرم عنايتك يا غياتشوتسيرينغ القديس" قال تونغستان

و هـكـذا بـدأ تـعـليم تونغستان و في البداية كانا يتقابلان خلال أيام الإجازة فـقـط و لـكن بـعد وقت أحس تونغستان بأن قلبه لم يعد كئيبا كما كان و أصبح

يتمنى أن يزور صديقه كل يوم و أحياناً كان يخوض في المباحثات إلى حد أن زيت السراج ينفد و هو لا يشعر بأن وقت الوداع قد حان و قبل ذلك كان من عادته أن ينام كئيب الخاطر و يحدب كلما فكر عن إبنه و لكن الآن نسى كل آلامه و وجد لنفسه هدوءاً و راحة

من تلك اللحظة تغيرت حياة تونفستان تغيراً كاملاً و أصبح في أحسن حال و راحة بال كلما بحث عن تعاليم بوذا ازداد فهمه و إدراكه عن الحياة و شعر بفرحة و سرور في نفسه

أصبح تونفستان الآن صانع الأحذية لملك التيبيت خريسونغ ديتسون أيضا و كان الملك يعيش في قصره الأحمر الفخم و كان تونفستان يزور الملك أحياناً لأجل إصلاح أو صنع أحذيته مما قرّبه الى الملك و بدأ الأخير يشاطره آلامه و أحزانه

ذات يوم سأل الملك أنت فقدت ابنك الوحيد يا تونفستان قبل مدة قصيرة و خسرت بذلك كل الآمال في الحياة و لكني الآن أحس أن الآلام و الأحزان قد تقللت شيئا و الآن أنت بصحة و عافية من أتى بهذه المعجزة؟ "يا سيدي" أجاب الإسكاف "إنه ليس إلاّ ثمرة تعاليم بوذا و هو الذي علّمني مفاهيم الحياة"

هل تعرف يا تونفستان؟ أنا أيضاً سمعت عن عدة معجزات أتى بها بوذا لم أفهم معاني هذه الديانة بكل المعنى الحقيقي للكلمة أبدا و حتى الآن لا أستطيع أن أميز بين معتقداتنا السابقة عندما كنا نتبع الديانة الشامانية و نعبد آلهتنا الإقليمية و بين تعاليم بوذا و حالياً قد جاء رجل من منطقة أوديانا شمال غرب الهند إلى قصري إنه يسمى بـ بادما سامبهافا و يتحدث عن كثير من معجزات بوذا لم لا تأتي بصديقك الناسك إليّ لكي نتعلم مزيداً منه

على يا صاحب الجلالة سوف أعمل طبقا لأوامرك

هكذا حضر غياتشوتسيريغ إلى الملك فبدأت مرة أخرى سلسلة من المباحثات بين الناسك التيبتي بادما سامبهافا و الملك و صانع الأحذية و عندما تعلّم الملك خريسونغ ديتسون القراءة بدأ يدرس الكتاب المقدس للبوذية و أثناء ذلك مرض غياتشوتسيريغ الناسك التيبتي الشيخ و احتضنه الموت

و تركت وفاته أثرا عميقاً في قلب الملك. فعاد إلى حالة الحزن مرة أخرى و بدأ يتساءل عن معنى الحياة و دامت هذه الحالة طويلاً حتى سأل بادما سامبهافا ما هي السعادة و كيف يمكن أن نحظى بها؟ لا توجد سعادة مطلقة يا سيدي؛ أجاب بادما سامبهافا لاشك أن الآلام و الأحزان جزء لا يتجزأ في حياتنا و كل ذلك بسبب رغباتنا للارتياح الذاتي فيمكن أن نتخلص منها بوضع حد لرغباتنا و لا يمكن تحقيقها إلا باتخاذ طريقة متوسطة كما علّمها البوذا

"و ما هي الطريقة المتوسطة؟" سأل الملك

"و هي يا سيدي" أجاب الناسك التيبتي "إتباع طريقة بين الإنغماس الذاتي و الزهد البالغ و اختيار عيشة خلقية و منتظمة"

فكر خريسونغ ديتسونغ عن ذلك لحظة و بعد سكوت طويل سأل "كيف يمكن لأحد أن يتخذ طريقة متوسطة؟"

"يا سيدي"، إنه يسمى بطريقة ذات ثماني طيات نبيلة" أجاب الرجل الذي قدم من الهند إنها فكرة صائبة و حل صحيح و كلمة حق و سلوك أفضل و عيشة راضية و جهد مناسب و تأمل و ذاكرة صحيحة.

لزم الملك الصمت لمدة طويلة. كلما فكر في هذه الطريقة ازداد إعجابه بها

"هل يقر بها البوذا"؟ سأل

"نعم يا سيدي" أجاب ناجاسينا لذلك نسميه بالرجل الذي حقق التنور

يا ناجاسينا! لا شك إنه كان رجلاً عظيما. قال الملك. هل قال شيئاً عن الآلام؟

نعم يا صاحب الجلالة "أجاب الرجل من بلاد الهند. "ماذا"؟

ان المولد هو العذاب و الشيخوخة هي الحزن و المرض هو المصيبة و الوفاة هي العذاب و كل الأماني الغير المتحققة هي الآلم بل الأحرى أن يقال إن كافة العناصر الأساسية الخمسة للشخصية هي المعاناة بذاتها

و كلما تأمل ديتسوبغ في الأجوبة ازداد إعجابا بفضائل تعاليم البوذا و ظل مكتئباً لبضعة أيام. و ذات يوم سأل ناجاسينا "ما هي الطريقة الأفضل لتفادي هذه الآلام؟"

"إنها تسمى بالحقيقة النبيلة لاحتواء المعاناة يا سيدي. إنها الوقف الكامل للعطش بما لا يبقى أي عاطفة و يعني ذلك النبذ الكامل لهذا العطش و التحرر منه تماما

غير أن الملك جريسوبغ ديتسون رغم هذه المناقشات الطويلة مع ناجاسينا لم يكن مقتنعا بمصائل البوذا مقارنة مع معتقداته الخاصة بالآلهة المحليين. فسأل صديقه الهندي ذات يوم: أيها الرجل القديس! هل تعرف شيئاً عن العلوم السحرية أيضا؟ و لم لا ترجو من البوذا أن يأتي و يتحدث معي و يخبرني عن حقيقة الحياة؟

تأمل باندا سامبهاقا في استفسار الملك طويلاً طيب؛ يا صاحب السمو؛ سوف اعمل شيئاً اليوم و انا متأكد أن امنيتك ستتحقق و سوف يأتي البوذا اليك بنفسه

و في تلك الليلة عندما كان ديتسون مكتئبا و يفكر في حديقة الحياة، وضع رأسه بين ذراعيها و غرق في النوم قبل أن يعرف شيئا عنها

"ملك ديتسون"؛ فجأة إنه سمع صوتاً كأنما لفظ أحد هذه الكلمات في أذنه

استيقظ من نومه و سأل من هو؟

حوّل وجهه و التفت نحو الباب فلم يجد هناك أحداً

و عندما نادى مرة أخرى سمع صوتاً واضحاً أيها الملك ديتسون أيها الملك ديتسون؛ إذهب إلى صديقك؛ إلى حجرة الإسكاف غدا و اطلب منه أن يخليك بوحدك ليوم واحد و ابحث عني سوف أتى بالتأكيد. و لكن تأكد بأنك وحيد

و في الصباح التالي استيقظ ديتسون نشيطاً قبل طلوع الشمس و بعد تناول الفطور عابر إلى حجرة صديقه تونفستان بنفسه فقال لتونفستان بأنه يتمنى أن يقضي يوماً كاملاً بوحده في غرفته للتأمل و التفكر اندهش تونفستان و أصبح مشوشا و لكنه ترك الملك بوحده و ذهب إلى دير سامي لقضاء يومه

جلس ديتسون بجانب النافذة و بدأ يطل على الشارع و كلما يمر أحد بالنافذة، يرفع عنقه ليرى من يمر بها فمر بها شيأل بازياء ممزقة ثم جاء ساقي يحمل دلو الماء و بعده رأى بعض الأطفال اللاعبين تحت النافذة و أخيراً جاء

جندي عجوز حامل المسحاة بيده قرب النافذة كان يعرفه ديتسون باسمه حيث كان قد شارك معه في عدة حروب. كان اسمه تسيرينغ و انغيال و بدأ يزيل الثلج أمام النافذة

"ربما يصيبني الجنون" قال ديتسون و ضحك على ظنه هذا جاء تسيرينغ لإزالة الثلج و كنت أظن أن البوذا يأتي لزيارتي. أنا أحمق

و بعد أن انتظر لمدة أطل من النافذة مرة أخرى فرأى أن تسيرينغ و انغيال أسند المسحاة إلى الجدار و كان يرتاح أو يحاول أن يغطي نفسه. و كان الرجل شيخاً هرماً و كاد أن تسلمه قوائمه ضعفاً و وهناً و يبدو أنه لا يقدر على إزالة الثلج

هل من الأنسب أن أدعوه و أقدم له الشاي فكر ديتسونغ و نهض ببطء و وضع السماور على الطاولة لإعداد الشاي له و قرع النافذة بأصابعه فحول تسيرينغ و انغيال وجهه و اقترب من النافذة و أومئ إليه بأن يدخل الغرفة و قام بفتح الباب بنفسه "تعال هنا" قال و "دفئ نفسك" أنا متأكد بأنك تشعر بالبرد"

اندهش و انغيال برؤية الملك و قال "يا جلالة الملك! من الذي أجبر عليك أن تأتي إلى هذا المسكن المتواضع؟ صه. صه. همس الملك جئت هنا لزيارة أحد. و لكن لا تزعج نفسك. تعال يا صديقي. أولاً تناول الشاي معي.

"أنت رجل كريم جداً" أجاب و انغيال "و الواقع أن عظامي تتألم و لكنني في الواقع شيخ هرم" فبدأ ينفض الثلج عن ملابسه خشية أنه يترك آثاره على الأرضية و بدأ يمسح أحذيته و لكنه لم يفعل ذلك حتى تمايل شيئاً و وقع على الأرض

أسرع ديتسون إليه و حمله و وضعه على الكرسي بلطف. ملأ كوبين و قدم واحدا منها إلى الضيف و سكب كوبه في الصحن و أخذ ينفخ فيه. و بينما شرب و انغيال من كوبه ظل ديتسونغ ينظر إلى الشارع

من الذي تتوقعه يا سيدي؟ سأل الزائر بعد لحظة "إذا كنت شخصا غير مرغوب فيه فاسمح لي بالخروج"

"لا تكن قاسيا" قال ديتسون. صحيح أنني أتوقع شخصا آخر و لكن هذا لا يعني أنني أريد أن تخرج" قال ديتسون و سكب مزيداً من الشاي في كوب الزائر

جلسا ساكتين لمدة طويلة. فقام و انغيال تسرينغ و قال "شكراً يا صاحب الجلالة"[1] أنت ناولتني طعاما و طمأنينة و كنت تواسيني جسماً و روحاً. أنت أكثر من ملك. أنت رجل نبيل و عظيم

مشى تسيرينغ إلى الباب ببطء و بينما يخرج من البيت دعا الله أن يبارك مضيفه. بدأ ديتسون ينظر خارج النافذة مرة أخرى و ينتظر البوذا و يفكر فيه و في أعماله و كانت تتراود في ذهنه مواعظه الدينية.

مر رجلان من أهل الريف بالنافذة ثم جاء جبار يحمل سلة. ثم جاءت إمرأة في زي الفلاحين فمرت بالنافذة و لكنها وقفت بجنب الحائط. ألقى ديتسون نظرة سريعة عليها من النافذة و رأى أنها تلبس أزياء بالية و تحمل طفلا بين ذراعيها. سمع ديتسون بكاء الطفل و المرأة تحاول أن تهدأه. فنهض من مكانه و ذهب إلى الباب و ناداها "لماذا تقفين هناك و تحملين طفلا في هذا البرد؟" تعالي هنا. يمكن أن تغطيه في مكان دافئ. تعالي من هنا"

استحمشت المرأة و لكنها تابعته داخل حجرته فقربها إلى الموقد و قال "إجلسي يا عزيزتي، و دفئ نفسك و كذلك لطمني طفلك"

ما عندي حليب و ما اكلت شيئا منذ الصباح الباكر، قالت المرأة و لكنها قرّبت الطفل من ثدييها

هزّ ميتسوي رأسه فجاء بكوب من شوربة الكرنب و الخبز و قال تناولي يا عزيزتي! و أنا أرعى طفلك

بدأت المرأة تأكل بينما وضع ميتسوي الطفل على السرير و جلس بجانبه وكان يرتب ذقنه بلطف و فجاءة بدأ الطفل يضحك فوضع إصبعه في فم الطفل ثم سحبه بسرعة و فعل هكذا مرة بعد مرة مما جعل الطفل يضحك و في الوقت نفسه شعر ميتسوي أيضا بفرحة و سرور بالغين

و كانت المرأة تأكل جالسة و تحكي عن نفسها، من هي و من أين جاءت؟

عندما انتهت من الاكل نهضت من مكانها للخروج، تنهد ميتسوي و سأل: ما عندك أي لباس مدفئ؟

أجابت هي. "لا" لا أستطيع شراء لباس أحسن. ثم اقتربت المرأة من السرير و أخذت طفلها أخذ ميتسوي عباءته الطويلة التي علقها على الجدار و أعطاها للمرأة

و قال غطي طفلك بها

نظرت المرأة إلى العباءة أولاً ثم إلى مضيفها و انفجرت بالبكاء ثم غادرت المكان و هي تعرب عن مشاعر الشكر و الامتنان لمضيفها

بعد ما غادرت المراة، تناول ديتسوي شوربة الكرنب و اخذ ينتظر مرة اخرى فراى إمراة تبيع التفاح امام نافذته و كانت تحمل سلة كبيرة بقدر قليل من التفاح و يبدو كأنها باعت معظمه وضعت السلة على الارض لكى ترتاح و بينما كانت تنظر نحو الشارع جاء ولدٌ هارباً و اختطفت تفاحاً من سلّتها و حاول ان ينسل و لكن المراة العجوزة لاحظت و قبضت على الولد بكمه صرخ الولد و بدلت العجوزة توبخه و تضربه اسرع ديتسوي إليها و سمع الولد يقول لم اخطفه لماذا تضربينني؟ دعني اذهب

فرّق ديتسوي بينهما و امسك الولد بيده و قال اصفحي يا امي، إنه طفل صغير

سألقنه درساً لكي لا ينسى طول سنة إنه وعد

دعيه يذهب يا امي! لن يرتكب نفس الخطا مرة اخرى دعته العجوزة فأراد الولد ان يمر لكن اوقفه ديتسوي "اطلب العفو من المراة!" قال "و لا ترتكب مرة اخرى رايتك تسرق التفاح "

بدا الولد يبكي و التمس العفو

"هذا صحيح! و عندي تفاح لك" و اخذ ديتسوي تفاحاً من السلة و اعطاه الولد قائلا "سوف ادفع لك يا امي"

"هكذا ستفسد هؤلاء الأوغاد الصغار"

قالت العجوزة ينبغي ان نضربه لكي لا ينساه لاسبوع كامل تقريباً

"يا امي!" قال ديتسوي "إنها طريقة بسيطة و لكنها ليست طريقة صحيحة إن نضربه لسرقة التفاح فما هي العقوبة لماسينا و ذنوبنا

سكتت المرأة العجوزة.

"يا أمي العزيزة! يجب أن نغفر له" قال ديتسوں و إلا لا يغفر لنا و يجب أن نعفو هؤلاء الطائشين الصغار

"هذا صحيح"! قالت المرأة و لكنه سيفسد مزاجهم و سلوكهم إلى حد كبير"

"فإذن يجب أن نعلمهم طرقا أحسن" أجاب ديتسوں و بعد قليل استعدت المرأة للذهاب فأخذت السلة و فجأة تقدم الولد أمامها قائلاً دعني أحمل لك هذه السلة يا أمي أنا أذهب إلى نفس الطريق

أحنت العجوزة رأسها و لما ذهبوا بعيداً باركت ديتسوں و لكنها نسيت أن تطلب منه ثمن التفاح و لما غابوا عن النظر، عاد ديتسوں إلى غرفته في انتظار وصول البوذا و لكن لم يأت أحد و الآن حان المساء بدأ ديتسوں يشعر بالتعب فاضطجع ليستريح و لما كاد أن ينام بدا كأنه سمع خطى الأقدام كأنما يتحرك أحد خلفه حوّل ديتسوں وجهه فظن كأن الرحال واقفون في زاوية مظلمة و لكنه لم يميز بين هؤلاء الرحال فهمس صوت في أذنه: أيها الملك ديتسوں، أيها الملك ديتسوں! ألا تعرفني؟ من أنت. غمغم ديتسوں

"إنه أنا" قال الصوت و من الظلام برز تيسريبغ و ابتسم نحوه مبتسماً ثم اختفى مثل سحاب و لم يره أحد.

"إنه أنا" قال صوت آخر بعد قليل و من هذا الظلام ظهرت المرأة تحمل طفلاً بين ذراعيها فابتسمت و ضحك الطفل و اختفا كلاهما

"إنها أنا" قال صوت ثالث و هذه المرة رأى ديتسوں المرأة العجوزة تبيع

تفاحاً و تقدم الولد من الظلام مبتسماً و كذلك غاب كلاهما بسرعة مثل الاخرين

شعر ديتسون بفرحة و سرور و إنه أدرك بأن البوذا قد زاره في أشباح هؤلاء الأشخاص و هداه إلى الصراط السوي للحياة و فهم بأنه لا يمكن لأحد أن يحقق التنور إلا باتباع رسالته و أدرك كذلك إنه سعيد بزيارة البوذا و الآن قد أصبح من واجبه أن يقوم بنشر رسالته في سائر أنحاء المملكة

و في الصباح التالي لاقى الملك ديتسون بانما سامبهافا و حكى له عن خبراته التي تلقاها أمس و قال: يا صديقي! إنك في الواقع رجل استثنائي. انتظرت البوذا و هو جاء. إنه أخبرني عن مفاهيم الحياة. أنا سعيد. و من اليوم سوف أدعوك الأستاذ بانما سامبهافا و أما فيما يتعلق بنفسي فسوف أكرس بقية حياتي لنشر رسالة البوذا

تعريب د/ فرحانه صديقي

❖❖

الندوة الدولية حول موضوع "الأدب المغربي في القرن العشرين" مركز الدراسات العربية بالمعهد المركزي للغة الانكليزية و اللغات الاجنبية في حيدر اباد: تقرير

إعداد د. زبير احمد الفاروقي

نظم مركز الدراسات العربية بالمعهد المركزي للغة الانكليزية و اللغات الاجنبية في حيدرآباد ندوة دولية حول موضوع "الأدب المغربي في القرن العشرين" لمدة ثلاثة أيام من ٢ إلى ٢٢ من شهر نوفمبر ٢ حضرها كبار الأساتذة الجامعيين من داخل الهند و البلدان العربية و من بينهم الدكتور عبد الله الحمادي من كلية الآداب و اللغات بجامعة منتوري في قسنطينة بالجزائر و الأستاذ عبد الله بنصر العلوي من كلية الأدب و العلوم الإنسانية بجامعة فاس، المغرب و الدكتور ماجد الجعافرة نائب عميد كلية الآداب بجامعة اليرموك في الأردن و الأستاذ يوسف أبو عدوس من نفس الجامعة و كبار أساتذة اللغة العربية بالجامعات الهندية المختلفة

في الحفلة الافتتاحية للندوة رحب مدير المعهد البروفسور براموت تالغيري بكافة المشاركين و نوه بأهمية موضوع الندوة و تأثير الثقافة العربية في أوروبا عن طريق التراجم العربية للكتب اليونانية و دورها في تمهيد النهضة الثقافية عند الأوروبيين و أشار إلى الاهمال الذي تعرض له الأدب المغربي و حث المشاركين على سد الفراغ ـ كما ناشد ترجمة بحوثهم إلى اللغة الانكليزية لتعم فائدتها ـ و أشاد ضيف الشرف الأستاذ شميم جيراجبوري رئيس جامعة أبي الكلام آزاد القومية للغة الاردية في حيدر آباد بجهود القائمين على الندوة بصفتها أول مبادرة في الهند لاثارة الاهتمام اللائق لموضوع مهم للغاية و تطرق

في حديثه إلى ما قدمه علماء و كتاب المغرب العربي من مساهمة قيمة في مجال العلم و الادب و الفلسفة و خص بالذكر ابن طفيل و ابن خلدون و ابن رشد و ابن بطوطة . كما ذكر تجاربه الذاتية التي مر بها اثناء زيارته لبلاد المغرب العربي حيث لاقى كل إكرام و إجلال لدى الجميع عندما عرفوا انه يشتغل بمهنة التدريس . و قال ان هذا دليل على ان الناس في تلك البلاد يقدرون كثيرا مهنة التدريس و المدرسين

امتدت الندوة على سبع جلسات عبر ثلاثة ايام قدمت فيها ٣٥ بحثا و عقدت الاولى منها برئاسة الدكتور ماجد الحمافرة نائب عميد كلية الآداب بجامعة اليرموك في الاردن و قدم فيها البروفسور عبد الله نصر العلوي بحثه تحت عنوان "توصيفات الادب المغربي الذي يشمل كلا من المغرب و تونس و الجزائر و الاندلس" و اشار إلى تطور هذا الادب في العصور المختلفة و العصر الحسيني الاول و الثاني و ما إلى ذلك و بين الخصائص المتميزة لكل عصر مع ذكر الاعلام البارزة و اشار كذلك إلى الانماط المتداولة في المغرب مؤكدا ان الشعر يمثل ابرز المجالات تليه القصص و الروايات ثم أشار الى الاتجاهات السائدة في القصة و الرواية

ثم قدم الاستاذ سيد محمد احتباء الندوي بحثه تحت عنوان "الحركات الإسلامية و تاثيرها في الشعر العربي الحديث في تونس" لوحظ فيه اولاً العصور التاريخية المختلفة التي مرت بها تونس ثم تطرق إلى وضع الادب العربي في ذلك البلد تحت الاستعمار الفرنسي و محاولة الشعراء التونسيين لاقتداء شعراء مصر و العراق و تاثرهم بالدعوة و الحركات الإسلامية و بخاصة جماعة النهضة، ثم ذكر الاعلام البارزة التي لها دور كبير في نهضة الشعر و الاتجاهات المختلفة السائدة في الشعر الحديث

في الجلسة الثانية للندوة و التي عقدت برئاسة الأستاذ عبد الله بنصر العلوي قدم الاستاذ ماجد الجعافرة بحثه تحت عنوان "تلقي المغاربة و الصقليين بشعر المتنبي" ركز فيه على المقارنة بين المتنبي و بعض شعراء الاندلس و في مقدمتهم المحسن الغيار و قام بشكل عام بتتبع لثار المتنبي في الشعر الاندلسي على اختلاف موضوعاته و ذكر بهذا الصدد لمثلة عديدة من ابيات المتنبي و شعراء الاندلس لإثبات مشابهات قوية بين المتنبي و الشعراء المغاربة

ثم قدم د/ رشير لحمد الفاروقي (الجامعة الملية الإسلامية) بحثه تحت عنوان "الشعر الجزائري من عهد الاستعمار إلى بداية عهد النهضة" تناول فيه المؤثرات التي أدت دورها في إخراج للشعر الجزائري من الركاكة و الضعف و للمحدوديه الموضوعية إلى حداثة و معاصرة و آفاق واسعة من ناحية المضمون و المحتوي و خص بالذكر في هذا الصدد الحركة الاصلاحية التي قام بها عبد القادر الجزائري و التيارات التي تأثر بها الشاعر الجزائري مباشرة أو عن طريق شعراء مدرسة الأحياء العربي الشرقية او مدرسة الديوان و الحركة المهجرية و اعلامها البارزين

و في بحثه تحت عنوان "تاريخ الادب التونسي" اوجز د/ حبيب الله خان (الجامعة الملية الإسلامية) العصور الاربعة الرئيسية التي مرّ بها الأدب العربي في تونس مع ذكر لسماء الشخصيات البارزة لكل عصر و ما لها من عطاءات علمية و ادبية حسب متطلبات كل عصر و قضاياه و قدم مقتبسات من النصوص الشعرية لإيضاح فكرته و استنتاجاته عن وضع الأدب في كل العصور في تونس

في الجلسة الثالثة للندوة قدم محمد منظور خان (جامعة كشمير) بحثه تحت عنوان "استعراض و نقد رواية المعلم على لعبد الكريم غلاب" الكاتب الروائي المغربي بينما قدم البروفسور لحمد كوتي (جامعة كالي كوت) بحثه حول

"مفدي زكريا - شاعر الثورة الجزائرية" بينما استعرض د/ محسن العثماني (جامعة دلهي) تاريخ الأدب العربي في المغرب الأقصى و عرض صورة للصحافة العربية في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين مشيرا إلى بعض الصحف البارزة و دورها في احياء التراث العربي القديم في المنطقة

كما قدم البروفسور يوسف العدوس أستاذ البلاغة و النقد الأدبي و رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة اليرموك الأردنية بحثه تحت عنوان "النقد الأدبي في تونس في القرن العشرين" استعرض فيه وضع النقد في تونس و ذكر أسماء الأعلام البارزين في مجال النقد و في مقدمتهم عبد السلام المسدي و الهادي الطرابلسي و محمد اليوسفي و توفيق بكار و محمد صالح الجابري و حماد صمود و غيرهم من الأقطاب للحركة الثقافية في تونس و أشار الى أن هؤلاء النقاد لم يعترفوا بعد لأي شاعر بالمكانة التي يضعون فيها أبا القاسم الشابي - و ذكر كذلك لآثار أعلام النقد في تونس و منها الاسلوبية و الاسلوب لعبد السلام المسدي و اطروحات الهادي الطرابلسي.

و في الجلسة الرابعة للندوة قدم د/ ولي أختر الندوي بحثه تحت عنوان "القصة القصيرة في تونس" تناول فيه للمراحل المختلفة لتطور القصة الى جانب ذكر المدارس المختلفة و مميزات كل المراحل و المدارس و الاعلام البارزين في مجال القصة القصيرة و لآثارهم الهامة

و تحدث الأستاذ عبد الله حمادي بشكل عام عن تاريخ الجزائر فبدا بذكر تسمية الجزائر التي تغيرت عدة مرات بتغير الحكم و قال ان تسميتها الأولى كانت Icosium و معناه جزيرة النوارس و تناول الأستاذ بالتفصيل التاريخ القديم للجزائر و الفترات المختلفة التي مرت بها و قدم لمحة عن الفترة اللاتينية و الاعلام البارزة التي انجبتها و منهم القديس الأوغسطين و الاوصين ليوليوس و ذلك قبل الإسلام و كان ابو ليس كما قال الأستاذ اول كاتب للرواية في

العالم ثم تطرق إلى العهد الإسلامي الذي بدأ بوصول جماعة من الصحابة في الجزائر حيث واجهت مقاومة شديدة من الأماريغ البرابرة كما قدم استعراضا للأنظمة المختلفة و منها الدولة الروستمية التي أقامها عبد الرحمن بن الرستم و هو من الأصول الفارسية و لمحة عن انتشار الفكر الشيعي و غيره من تيارات دينية مختلفة بالإضافة إلى هذا وزع الأستاذ حمادي بحثه تحت عنوان "الشعر الجزائري الحديث منطلقاته و أبعاده" بين المشاركين

و في الجلسة الخامسة قدم د/ أبو سفيان الإصلاحي (جامعة عليجارة الإسلامية) بحثه تحت عنوان "دور جمعية علماء المسلمين في الجزائر" ركز فيه على النشاطات الإصلاحية لهذه الجمعية و مؤسسها عبد الحميد بن باديس في مجال إحياء التراث الإسلامي الخالص و مناهضة الحملة الفرنسية لتثقيف أبناء الشعب الجزائري بالثقافة الفرنسية

و قدمت الأستاذة قمر النساء (الجامعة العثمانية) بحثها تحت عنوان "تطور الشعر العربي في المغرب" تناولت فيه المؤثرات العربية و الغربية و القومية في الشعر الجزائري الذي لم يكن يتعدى موضوعات من الرثاء و المديح و الموشحات، ثم تطرقت إلى تطور الشعر المغربي بمختلف مراحله و النزعات المختلفة التي نالت طريقها إلى الشعر المغربي تحت أثر العوامل العديدة و نقلت أبيات لبعض الشعراء البارزين و خاصة عبد الله كنون و علال الفاسي

و في بحثه تحت عنوان "الحركة السنوسية" تناول الأستاذ عبد الباري (جامعة عليجارة الإسلامية) نشاطات هذه الحركة في مجال إزالة الشوائب و الخرافات التي كانت قد تسربت إلى الحياة الاجتماعية في المنطقة و بين بوجه تفصيلي الأهداف و الغايات التي وضعها مؤسس الحركة الشيخ علي الادريسي و منها شن حملة الجهاد ضد القوة الاستعمارية و لكن أن هذه

الحركة لدت إلى إصلاحات دينية و اجتماعية عن طريق إنشاء شبكة للزوايا و الكتاتيب و تركت بعض الانتاجات الأدبية مما يوجد له اثر في أدب القرن العشرين بصفة عامة

و قدم البروفسور محمد اسلم الاصلاحي بحثه تحت عنوان "المناصر الوطنية و مفاهيمها و اعرب عن تحفظاته حول اهتمام الشعراء العرب بهذا الموضوع مؤكدا ان لها مفهوما ضيقا بينما يتميز الفكر الإسلامي بافاقيته و لذا فان التشبث بالوطنية او الوحدة القومية بمفهومها الضيق لا ينسجم مع الفكر الإسلامي و نوه في هذا الصدد بموقف العلماء الاسلاميين في العالم العربي و ايضا في الهند و اثار هذا البحث جدلا و نقاشا حيويا شارك فيه كثير من الحضور

و في الجلسة السادسة للندوة قدم د/ افتخار مسعود مقالته تحت عنوان "الشعر المغربي ضد الاستعمار الغربي اشار فيه إلى دور الشعر المغربي في مناهضة الاستعمار و من كان في طليعة ذلك من شعراء مثل ابي القاسم الشابي في تونس و ابي بكر الباني و علال الفاسي في المغرب و عبد القادر الجزائري و محمد العيد في الجزائر و نقل عنهم نصوصا شعرية خاصة بالمقاومة

ثم قدم البروفسور شفيق احمد خان الندوي بحثه تحت عنوان "النزعة السياسية و الاجتماعية في الروايات العربية في المغرب "ضمنه تحليلا دقيقا لموضوعات الروايات المغربية و مقارنة بين ثلاثية نجيب محفوظ و بعض روايات عبد الكريم غلاب و ذكر بوجه خاص المشكلات الاجتماعية في روايات المغرب محللا بهذا الخصوص روايات محمد العزيز الحبابي الفاسي و بعض الروايات الجزائرية التي تناولت قضية المراة و قارن بينها و بين رواية زينب لمحمد حسين هيكل.

و قدم البروفسور عبد المجيد (الجامعة العثمانية) بحثه تحت عنوان "لمحة موجزة عن تطور للشعر العربي الحديث في الجزائر" و خص فيه بالذكر شاعرين كبيرين و هما محمد زكريا و محمد العيد و قدم بعض النماذج من قصائدهما

و في بحثه تحت عنوان "الشابي سعي بين سطوره" حاول د/ ابراهيم رحمة الله إثبات أن الشابي كان ناثرا و ناقدا أكثر من كونه شاعرا و أن مكانته في النثر اهملت تماما و قدم في هذا الصدد عدة شواهد من عنده و من عند الآخرين

و قدم د/ كرامة الله البهمي بحثه تحت عنوان "القصة القصيرة في الادب العربي المغربي" أوجز فيه تطور القصة في المغرب العربي تحت تأثيرات مختلفة و قدم د/ عبد الماجد المليباري بحثه تحت عنوان" لبي القاسم الشابي"

و في الجلسة السابعة و الأخيرة للندوة قدمت بحوث تحت عناوين "لبي القاسم الشابي" و "تأثير شوقي و حافظ في شعر تونس" و "العناصر الوطنية في شعر ابي القاسم الشابي" و "تأثير شوقي و حافظ في شعر تونس" و "العناصر الوطنية في شعر أبي القاسم الشابي" و "وقفة مع محمود المسعدي التونسي" و "الشعراء البارزون للمغرب" و ذلك من قبل د/ جمال الدين و د/ جهانجير ود/ أحمد سعيد و د/ محمد مصطفى شريف و د/ بديع الدين على وجه الترتيب.

و في نهاية كل الجلسات قدم الأستاذ عبد الله حمادي اضافات قيمة و مفيدة و خاصة ما يتعلق بالمستجدات التي حصلت على السلحة الأدبية في المغرب

و في الجلسة الختامية للندوة قدم الدكتور محمد اقبال حسين عظيم الشكر و التقدير لجميع المشاركين على بحوثهم و مشاركتهم الفعالة في الندوة ثم اعرب المندوبون العرب عن تقديرهم و شكرهم على الترتيبات الرائعة التي قامت بها سلطات المعهد و خاصة رئيسه و رئيس قسم الدراسات العربية لضمان اقامتهم المريحة في مدينة حيدرآباد و على المبادرة التي قاموا بها لتعريف الأدب المغاربي في الهند و تمنوا بأن تعقد مثل هذه الندوات دوريا في المستقبل كما عبر رئيس المعهد البروفسور برلمود تاللميري عن مشاعر الامتنان و الشكر لجميع المشاركين و خاصة منهم المندوبون العرب من الجامعات العربية في المغرب و الجزائر و الأردن و قال إن الندوة فتحت آفاقا جديدة و أبوابا لدراسة الأدب المغاربي الذي لم يكن ينال من الاهتمام و العناية ما يليق به و أشاد المدير بجهود الهنود في إثراء اللغات الاقليمية المختلفة في الهند عن طريق تراجم الكتب العربية و الفارسية إلى تلك اللغات و أكد أن الندوة قد أتاحت فرصة ثمينة لفهم و دراسة الأدب المغاربي بصورة أكثر دقة و استيعابا

❖❖